نفحات عاشوراء

تأليف: الشيخ كاظم البهادلي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمّ كُنْ لوليك الحجّة بن الحسن

صلواتُك عليه وعلى آبائه

في هذه الساعة وفي كلّ ساعة

ولياً وحافظاً، وقائداً وناصراً

ودليلاً وعيناً

حتّى تسكنه أرضك طوعاً

وتمتعه فيها طويلاً

الإهداء

* إلى مَنْ كانت أُمّاً لأبناءِ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

* إلى مَنْ واست سيّدة نساء العالمين عليها السلام .

* إلى مَنْ قدمّت أولادها في سبيل الدين.

* إلى مَنْ كانت ولا زالت سبيلاً في قضاء حوائج المؤمنين.

* إلى أُمّ قمر بني هاشم وإخوته الميامين.

* إليك يا سيّدتي يا أُمّ البنين أُقدم تعابير ولائي بين يديك، عسى أن تشملني شفاعتُك، وشفاعة أولادِك الطّاهرين عليهم السلام .

المحبّ للعترة الطّاهرة عليهم السلام

الشيخ كاظم البهادلي

كلمة الناشر

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه أبي القاسم محمّد وعلى آله المظلومين.

السّلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»[١].

وعن بكير بن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للفضيل: «تجلسون وتتحدّثون؟». قال: نعم جعلت فداك. قال: «إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، رحم الله مَنْ أحيا أمرنا. يا فضيل، مَنْ ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[٢].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء»[٣].

«فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لِمَنْ حاربك محارباً، ولِمَنْ نصب العداوة مناصباً، فلأندبنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ عليك بدل الدموع دماً؛ حسرة عليك، وتأسّفاً على ما دهاك وتلهّفاً، حتّى أموت بلوعة المصاب وغصّة الاكتئاب»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة ٢ / ٩٢٣، أمالي الطوسي / ٦٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٤ / ٥٠١.

(٣) أمالي الصدوق / ١٩٠.

(٤) المزار - لمحمد المشهدي / ٥٠١، بحار الأنوار ٩٨ / ٣٢٠.

وهكذا أولى الخطباء البارعون قضية الإمام الحسين عليه السلام جلَّ اهتمامهم، بعظيم أدائهم في تبليغ رسالة الحسين عليه السلام، رسالة الإسلام المحمّدي الأصيل التي كانت تهدف في كلّ فصل من فصولها، وكلمة من كلماتها لإنقاذ الأمّة من شفا جرف هار، ومن أجل إحياء شريعتها، وحفظ كتابها من دنس الأوغاد والفسقة في أحلك الظروف التي مرّ بها وأصعبها؛ حيث الباطل لا يُتناهى عنه، والمعروف لا يُؤمر به كما وصفه الإمام الحسين عليه السلام: «ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»[1].

وها هم اليوم أنصار الحسين عليه السلام تتجدّد بهم صرخة الإمام الحسين عليه السلام، واستنصاره واستنهاضه للأمّة من نوم الغفلة؛ لتجعل من منبره الشريف مجالس للوعظ والإرشاد والتعليم، ومنصّة لقمع الظلم والظالمين، بأمرها للمعروف ونهيها للمنكر الذي كاد يكون أمره في حاضرنا آخر أمر يُفكّر به، ويُسعى لأجل إحيائه.

فقد جعلوا من منبر الحسين عليه السلام أعظم وسيلة إعلامية للصوت الإسلامي الأصيل؛ ليقرعوا به مسامع الظالمين والمضلّين، ويهدوا به المسترشدين؛ فهم اليوم بحقّ حملة الدين، والمبلّغين عنه بصدق وأمانة لجميع المخلوقين؛ للقاصين والنائين، ولمنْ لم يصل إليه نور الإسلام المبين.

---

(١) مقتل الحسين - لأبي مخنف / ٨٦.

فالمنبر الحسيني اليوم كما كان بالأمس أفضل وسيلة لإيصال صوت الإسلام الحنيف، وبيان معارفه وأحكامه لأبناء الأمّة الإسلاميّة، وأنفع وسيلة لتحريك العواطف، والمشاعر الإنسانيّة، والغيرة الدينية من خلال استنهاض الأمّة، وإحياء روح التضحية والجهاد في سبيل الله عن تقوية إرادتها وتنشيط عزيمتها. كلّ ذلك من أجل إحلال العدل، ونبذ الظلم، وإقصاء الظالمين ومحاربتهم بشتى الوسائل المتاحة لرجال الدين وأبنائه المؤمنين.

لقد قام الإمام الحسين عليه السلام في نهضته بتعبئة المؤمنين المخلصين؛ شيوخاً وشباباً، ونساءً وأطفالاً لنصرة الدين، وإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لما استفحل داء بني أُميّة في جسد الأمّة؛ حيث أخذ يتّسع يوماً بعد يوم حتّى وصل الأمر أن تكون الأمّة لقمة سائغة في حلق يزيد المجن والكفر اللعين، كمَنْ أودع شاة عند ذئب جائع، فعندها قال الإمام الحسين عليه السلام كلمته الحقّ: «فعلى الإسلام السّلام إذا ابتُليت الأمّة براع مثل يزيد»[1].

ولما علم الإمام الحسين عليه السلام بأنّ مثل هذا الأمر لا يُجدي به النصح والإرشاد، خصوصاً أنّه بدأ بسياسته الخاطئة، وعدوانه المتكرر، يستهدف الشريعة الإسلاميّة للقضاء عليها؛ وذلك من خلال استخفافه بمشاعر المسلمين، واستهزائه بأحكام الدين علناً وأمام الحاضرين من وعّاظ السلاطين، وقيامه

---

(١) مثير الأحزان - لابن نما الحلّي / ١٥.

باجتثاث المؤمنين، ومطاردة الصالحين، وقطع صلة المخلصين، وبأخذ البيعة بالقهر والغلبة من المسلمين؛ فإنّ مثل هذه الأساليب تتطلب من المؤمنين، ومن حماة الدين وأمنائه أن يقفوا بوجهه أيّما وقفة، تحول دون تحقيق مآربه ونواياه السيئة تجاه الدين ورجاله الرساليين.

وعلى أيّة حال قام الإمام الحسين عليه السلام بثورة عارمة هزّ بها عروش الظالمين، صارت مناراً للمجاهدين، وأنشودة للثائرين، يخسأ مَنْ يقول مات الحسين عليه السلام وهو حي في ضمير المجاهدين، وكلمة حقّ ينطق بها المستضعفين والمظلومين، وليخسأ مَنْ يقول: مضى دور الحسين عليه السلام.

كيف مضى وهو اليوم حيّاً في قلوب المؤمنين، وذكره يتجدّد على ألسن الخطباء وخدام الحسين عليه السلام، وصوته يعلو كلّ صوت؛ لأنّه الإسلام، لأنّه القرآن؛ فالحسين روحه روح الإسلام، وجسده جسد الإسلام، فما قتلوا حسيناً، ولكن قتلوا تهليلاً وتكبيراً كما يقول أحد شعراء الطفِّ:

ويكبّرون بأن قُتلت وإنّما قتلوا بك التكبيرَ والتهليلا

فما كان علينا أيّها الإخوة الأعزاء إلاّ أن نقوم بخدمة بسيطة للإمام الحسين عليه السلام؛ تكريماً لأنصاره المؤمنين، والعلماء الرساليّين المبلّغين لأحكام الدين، وتجسيداً لأهداف الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك بأن نقوم بنشر آثارهم

القيّمة؛ لتكون لنا ولهم حسنة نستثقل بها ميزان أعمالنا، ونشتري بها شفاعة ورضا الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فبرضاهم رضا المولى تبارك وتعالى.

وهكذا سعينا دائبين أن نقوم بنشر مجالس لأربعة عشر خطيباً من خطبائنا المعاصرين عبر سلسلة سمّيناها (نفحات عاشوراء)؛ تكريماً لهم منّا، وتعظيماً لجهودهم المبذولة في سبيل الدين وإحياء قضية الإمام الحسين عليه السلام.

ومن الله نستمد العون والمساعدة، وأملنا به كبيراً بأن يقبل منّا هذا اليسير، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

دار الإمام الجواد عليه السلام

الشيخ زهير البغدادي (عيد الغدير ١١غر / ١٤٢٩)

المقدّمة

بسم الله كلمة المعتصمين، ومقالة المتحرّزين، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الخلق أجمعين، المحمود الأحمد، والمصطفى الأمجد، أبي القاسم محمّد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد، هذه مجموعة من المحاضرات والمجالس العزائية في سادتي الأطهار عليهم السلام، كتبتها ووفقتُ لإلقاء أكثرها، فنالت إعجاب جماعة من المؤمنين، فالتمسوني استنساخها، فنسخت مرّات عديدة، ثمّ طلب منّي جماعة من الخطباء الأعزاء طباعتها ونشرها حتّى تعمّ الفائدة، فاستجبت لهم بعد أن راجعتها، وقمت بإجراء بعض التعديلات عليها، فجاءت - بحمد الله ومنّه - بالمستوى المقبول، وصارت أحسن حالاً ممّا كانت عليه أوّلاً.

وهي ثلاثون مجلساً، اشتملت على مجالس مُحرّم الحرام، وبعض مناسبات شهر صفر، وشهر رمضان، ومجلسين اثنين في الصدّيقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ومجلس في السيدة زينب الكبرى عليها السلام، ومجلس في السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

ولا يخفى على إخوتي الخطباء وأهل الفنّ أنّ بإمكانهم إجراء التغييرات عليها، والزيادة والنقص فيها بحسب ما تقتضيه المناسبة من ولادة أو شهادة.

وأخيراً أقول: فما كان فيها من نفع وفائدة فيعود فيه لله تبارك وتعالى، ولأساتذتي المخلصين، وما فيها من نقص أو قصور أو عثرة أو زلّة فهو دليل قصور باعي، وقلّة اطلاعي، والمسؤول عنه أنا وحدي. فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ومقبولةً عنده، وأن يثقل بها ميزان حسناتي يوم ألقاه، إنّه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول.

كاظم البهادلي

الأوّل من شهر صفر الخير ١٤٢٩ هـ

قم المقدّسة

المجلس الأوّل

وجوب تنصيب الإمام عليه السلام

المجلس الأوّل

وجوب تنصيب الإمام عليه السلام

عِــشْ في زمانــك مــا اســتطعت نبــيلا ... واتــرك حــديثك لــلرواةِ جــميلا

ولــعزّك اســترخص حــياتك إنّــه ... أغلــى وإلّا غادرتــك ذلــيلا

تُــعطي الــحياةُ قــيادها لــك كُلمّــا ... صيّــرتها للــمكرماتِ ذلــولا

الــعزُّ مــقياسُ الــحياةِ وضــلُّ مَــنْ ... قــدْ عــدَّ مــقياسَ الــحياةِ الطــولا

قــل كيــفَ عــاشَ ولا تقــلْ كــم عــاش مَــنْ ... جــعلَ الــحياةَ إلــى عــلاهُ ســبيلا

لا غــرو إن طــوتِ الــمنيّةُ ماجــداً ... كــثَرتْ مــحاسنُه وعــاشَ قــليلا

مــا كــان للأحــرارِ إلّا قــدوةً ... بــطلٌ تــوسَّد فــي الطفــوفِ قتــيلا

بعــثتهُ أســفارُ الــحقائقِ آيــةً ... لا تقــبلُ التــفسيرَ والــتأويلا

يــدوي صــداها في المســامعِ زاجــراً ... مَــنْ عَــلَّ ضــيماً واســتكانَ خمــولا

لا زالَ يــقرؤها الــزمانُ مُــعظّما ... فــي شــأنها ويــزيدها تــرتيلا [1]

سيدي:

فليــت أكُفــّاً حاربتــك تقطّعــت ... وأرجُــلَ بغــيٍ جــاوبتك جُــذامُ

---

(١) القصيدة للشاعر الحاج عبد الحسين الأزري رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبّر رحمه الله في كتابه القيّم (أدب الطّف ١٠ / ٧٩): الحاج عبد الحسين الأزري من شعراء العراق اللامعين، حرّ التفكير والعقيدة، ومن أوائل دعاة التحرير، وقد أصدر في العهد العثماني جريدة ببغداد كانت من أوائل الجرائد إن لم تكن أوّل جريدة طالبت بحقوق العرب وحريتهم، وقد نفاه الأتراك وحُبس في الأناضول...

ولد الحاج عبد الحسين في بغداد سنة ١٢٩٨ هـ، وترعرع في زمن كثرت فيه الانتفاضات على النظم السياسية وعلى العادات والتقاليد البالية، من أجل ذاك نشأ وهو ثورة أدبية اجتماعية... وكان الشاعر يتقن الفرنسية، فكان محلقاً في خياله، ومبدعاً في أسلوبه القصصي.

من آثاره: (بطل الحلّة) رواية عصرية، (البوران) رواية عصرية، (قصر التاج)، (ديوان شعر).

توفي رحمه الله في بغداد يوم الأحد ٢١ ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف بتشييع مهيب فدفن في وادي السّلام، ونعته الصحف العراقية والعربية، ورثاه عارفوه وأبّنوه.

إنّها هي الأكُفُ الأثيمة والأرجلُ التي سعت إلى أعظم جريمة، أبكت عين رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام، وتركت أمَّك الزهراء عليها السلام تقيم مأتمها إلى جنب جسدك الطاهر ليلة الحادي عشر، وهي تلثم نحرك وتطالُبُك بحقوق الأمومة.

تگلـــك يا عزيـــز الـــروح يا ســـبّاح گلـــبي ويـــا ظـــيا بالـــعين أُمَّـــك لاح
يـــبني مـــا تگلـــي ويـــن راســـك راح آيـــحسين يـــومك بـــيش أوصـــفنَّه

***

مـــاني أمّـــك وجيـــت اطلـــب ابحـــكَ ارباي يـــماي الـــعين يـــلّي مـــا شـــربت المـــاي
آنَـــه الكســـروا ضـــلعها گـــوم واحچـــي اوياي ولـــهانه اعـــلى صـــوتك وارد أسمعنـــه
اشـــكثر يبـــني اتعبـــت بـــرباك أنـــه ولاليـــت يـــا شمعـــة اعـــيوني أويـــا عمـــود البيـــت
يـــبني أمـــن الـــمدينة الكربلـــه اتعنيـــت دســـولفلي عـــليك اشـــصار يا مچنـــه
إگعـــد شـــوف جـــدّك گاعـــد إگبالـــك يـــنادي احســـين يبـــني اشصـــاير ابحالـــك
يـــبني مـــن گطـــع يـــمناك وشمالـــك أُوصـــدرك لـــيش يبـــني الخيـــل رضـــنّه
يُمّـــه إبـــيا ذنـــب چتلـــوك هـــالعدوان يـــبني أُولـــيش جســـمك عـــالترب عـــريان
يـــم شـــاطي الفـــرات أُوتنـــذبح عطشـــان أريـــد أعـــرف إعـــليمن تنحـــرم منـــه
يـــبني وهـــاي جيـــتي انشـــوفك إبياحـــال أويـــاهو اللـــي يبـــاري البگـــه امـــن الأطفـــال
أوحمـــل زينـــب دگلـــي اعلـــى الجمـــل لـــو مـــال يـــاهو اللـــي يعـــدله اولـــيه يـــتدنه

* * *

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اللّهمّ بلى، لا تخلوا الأرض من قائم لله بحُجةٍ؛ إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً؛ لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته»[1].

هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام سيد البلغاء والمتكلّمين، الذي كلامه أمير الكلام، بل كلّ شيء فيه أمير، وهو الذي فقأ عيون البلاغة بكلمات ثلاث حسب ما عبّر العروضي الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث قال: لقد فقأ علي بن أبي طالب عليه السلام عيون البلاغة عندما قال: «إلهي، كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً»[2]. أو قوله الآخر: «المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا طيلسانه»[3].

وعلى أيّة حال فهذا المقطع من كلامه الشريف كان من ضمن الحكم التي وجّهها لكميل بن زياد النخعي، وهي من الحكم الجامعة لمحاسن الكلام، وقد خرج بكميل نحو الجبّان - أي المقبرة - ثمّ أصحر به - أي أخذه نحو مكان صحراء - بعد ذلك تنفّس الصعداء، ثمّ قال هذه الحكمة المشهورة التي ابتدأها من قوله: «يا كميل، إنَّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عنّي ما أقول لك».

وبدأ يستدرج معه في الحديث إلى أن وصل به المقام إلى بيان حاجة الإمام، فذكر هذا المقطع: «اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّةٍ؛ إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً؛ لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته».

---

(١) نهج البلاغة - قسم الحكم / ١٤٧.

(٣.٢) الخصال / ٤٢٠، رواه عن الشعبي لا عن الخليل.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كيلا يخلو الزمان ممّن هو يهيمن لله تعالى ومسيطر عليهم، وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإماميّة، إلاّ أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال الّذين وردت الأخبار النبوية عنهم أنّهم في الأرض سائحون[1].

وهذا صرف لكلام أمير المؤمنين عليه السلام بلا قرينة حالية أومقالية فلا يُعتنى به ولا يُلتفت إليه؛ فكلّ إنسان عاقل يفهم من كلام الأمير (سلام الله عليه) حاجة الأمّة إلى الإمام؛ إذ التعليل الذي ذكره الإمام عليه السلام لا يُناسب إلاّ ذلك؛ وذلك عند قوله: «لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته»، فهو يُناسب أن يكون هناك مَنْ يكون قوله حجّة لله تعالى، وليس هناك مَنْ يكون قوله حجّة على الناس إلاّ حجج الله ومَنْ جعلوه هم. فمن هنا اتضح أنّ المقصود هو الإمام عليه السلام.

أضف إلى ذلك ما ورد من نصوص عديدة عن الأئمّة عليهم السلام بأنّهم حجّة الله على العباد، كما ورد في كتاب الكافي الشريف روايات وروايات بهذا الخصوص في كتاب الحجّة منه الذي يأتي بعد كتاب التوحيد مباشرةً.

ومن هذه الروايات ما روي في الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الحجّة لا تقوم لله عزَّ وجلَّ على خلقه إلاّ بإمام حتّى يُعرف»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٦٣.

(٢) الكافي ١ / ١٧٧، كتاب الحجة ح٢.

الإمامة عند الشيعة

إنّ الإمامة عند الشيعة تختلف في حقيقتها وجوهرها عمّا لدى أهل السُنة؛ فهي عندنا إمرة إلهية، واستمرار لوظائف النبي والنبوّة سوى تحمّل الوحي الإلهي. ومقتضى هذا اتصاف الإمام بالشروط المشترطة في النبي، وعلى هذا سوف يَنحصر طريق ثبوت الإمامة بتنصيص من الله، وتنصيب من النبي الأكرم ﷺ ، أو الإمام السابق.

أمّا عند غير الشيعة فهي لا تخضع إلى ميزان بل ليس لها ميزان؛ فتارةً يعتمدون على تعيين السابق للاحق، وأُخرى على الشورى، وثالثة على السيف، إلى غير ذلك، وهي ليست عندهم من الأُصول الاعتقاديّة، أمّا عندنا فهي أصل من الأُصول الاعتقاديّة.

الأدلّة على هذا الأصل

الدليل الأوّل: الآيات والروايات

إنّ النبي الأكرم ﷺ لم تكن مهمّته مقتصرة على تلقّي الوحي الإلهي وتبليغه إلى الناس، بل كان يقوم بعدّة أمور:

منها: تفسيره للكتاب العزيز، وشرح مقاصده، وكشف أسراره، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

ومنها: بيان أحكام الموضوعات التي تحدث في زمن دعوته ﷺ .

---

(١) سورة النحل / ٤٤.

ومنها: دفع الشبهات والجواب عن التساؤلات العويصة المريبة التي كان يثيرها أعداء الإسلام من يهود ونصارى.

ومنها: أنّه ﷺ كان يصون الدين من التحريف والدسّ، ويراقبُ ما أخذه عنه المسلمون من أُصول وفروع حتّى لا تزلّ فيه أقدامهم.

هذه جملة من الأمور التي مارسها النبي الأكرم ﷺ أيام حياته الشريفة، ومن المعلوم أنَّ رحلته تخلّف فراغاً هائلاً في هذه المجالات، فلا بُدّ من وجود مَنْ يسدّ هذا الفراغ الهائل؛ لأنّ الأمّة تحتاج إلى مَنْ يراقبها ويوضّح لها، ويأخذ بها إلى الطريق المستقيم في كُلِّ زمانٍ وفي كُلِّ مكانٍ، وإلاّ كيف يترك الله تبارك وتعالى هذه الأمّة بلا شخصٍ يُرشدها ويفسرُّ لها، ويردّ الشبهات التي تعرَضها أو التساؤلات التي تتلقّاها، والأمّة لم تصل إلى مقام العصمة حتّى في زمن النبي الأكرم ﷺ ؟!

وعليه فلا يمكن أن يكون هذا الفراغ الهائل بلا مَنْ يشغله، فلا بُدّ إذاً من وجود مَنْ يستودعه النبي الأكرم ﷺ كلّ ما تلقّاه من المعارف والأحكام بالوحي، وأن تكون هذه الشخصية شخصية مثالية، لها كفاءة تقبّل هذه المعارف والأحكام وتحمّلها.

الدليل الثاني: الأمّة الإسلاميّة ومثلّث الخطر الداهم

إنّ الدولة الإسلاميّة التي أسسها النبيّ الأكرم ﷺ كانت محاصرةً حال وفاته ﷺ من جهتي الشمال والشرق بأكبر إمبراطوريتين عرفهما تاريخ تلك الفترة، وكانتا على جانب كبير من القوّة والبأس، وهُما: الروم والفرس.

الروم من الشمال، والفرس من الشرق، ويكفي في خطورة إمبراطورية الفرس أنّه كتب ملكها إلى عامله باليمن - بعد ما وصلت إليه رسالة النبي ﷺ تدعوه إلى الإسلام ومزّقها -: « ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به »[1]. هذه هي الخطورة الخارجية التي تواجهها الأمّة الإسلاميّة من الخارج.

وأمّا من الداخل: فقد كان الإسلام والمسلمون يعانون من وطأة مؤامرات المنافقين الذين كانوا يشكّلون جبهة عُدوانية داخلية حتّى إنّ الباري عزّ وجلَّ أنزل فيهم سورة خاصة.

إذاً، عدّوان خارجيان وعدُّو داخلي، فالمثلّث تام، ومن المحتمل جدّاً أن يتّحد هذا المثلث ليزلزل ما بناه النبي الأكرم ﷺ . فما هي الوظيفة مع وجود هذا الخطر العظيم؟

هل الوظيفة هي تنصيب قائدٍ عارف حكيمٍ، له القدرة على قيادة الأمّة ووظائفها حتّى يجتمع المسلمون تحت رايته، ويكونوا صّفاً واحداً في مُقابل

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٦.

ذاك الخطر؟ أو أنّ الوظيفة والمصلحة العامة تقتضي تفويض الأمر إلى الأمّة حتّى يختاروا لأنفسهم أميراً مع ما يحكيه لنا التاريخ من سيطرة الروح القبلية عليهم[1]؟

إنَّ القائد العارف البصير هو مَنْ يعتني بالأوضاع الاجتماعية لأمتّه، ويلاحظ الظروف المحيطة بها، ويرسم على ضوئها ما يراه صالحاً لمستقبلها، وعليه فلا بدّ من تعيين القائد والمدّبر، لا دفع الأمر إلى الأمّة، ومتى عرفت الأمّة مصلحتها؟!

الدليل الثالث: نصب الإمام لُطفٌ إلهي

والدليل الثالث والمهم في المقام هو ما سلكه السيد المرتضى ﵀ في الاستدلال، بأنَّ نصب الإمام لطف من الله على العباد، واللطف واجبٌ على الله تعالى؛ لِما تقتضيه حكمته؛ وذلك لأنَّ اللطف ما يُقّرب إلى الطاعة ويُبعّد عن المعصية ولو بالإعداد، وبالضرورة أن نصب الإمام كذلك؛ لِما به من بيان المعارف والأحكام الإلهية، وحفظ الشريعة من الزيادة والنقصان، وتنفيذ الأحكام، ورفع الظلم والفساد ونحوها.

وأمّا كونه واجباً عليه تعالى؛ فلأنّ ترك اللطف من الله سبحانه وتعالى إخلال بغرضه ومطلوبه، وهو طاعة العباد له وترك معصيته فيجب نصبه لئلاّ

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ١٤٥، وانظر الإلهيات / ٣٦١.

يخلّ بغرضه[1].

ولذا استدلّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام بأدلّة قوية لبيان أهمّية الإمام، منها هذه الرواية الشريفة: روى عليُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، منهم: حمران بن أعين، ومُحَمَّد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيّار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم، وهو شابٌّ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد، وكيف سألته؟».

فقال هُشام: يابن رسول الله، إنّي أجلُّك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبد الله: «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا».

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجتُ إليه، ودخلتُ البصرة يوم الجُمعة، فأتيتُ مسجد البصرة فإذا أنا بحلقةٍ كبيرة فيها عمرو بن عبيد، وعليه شملةٌ سوداء متّزر بها من صُوفٍ، وشملة مرتد بها، والناس يسألونه، فاستفرجتُ الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدتُ في آخر القوم على ركبتيّ، ثمّ قُلتُ: أيُّها العالم، إنّي رجلٌ غريبٌ تأذن لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

فقلتُ له: ألك عينٌ؟

فقال: يا بُني، أي شيء هذا من السؤال؟! وشيء تراه كيف تسأل عنه؟!

فقلتُ: هكذا مسألتي.

فقال: يا بُني، سَلْ وإن كانت مسألتك حمقاء.

قُلتُ: أجبني فيها.

قال لي: سل.

---

(١) نقلنا ذلك من كتاب الإلهيات - للشيخ جعفر السبحاني / ٣٥٧ - ٣٦٤.

قُلتُ: ألك عينٌ؟ قال: نعم. قُلتُ: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قُلتُ: فلك أنفٌ؟ قال: نعم. قُلتُ: فما تصنع به؟ قال: أشمُّ به الرائحة. قُلتُ: ألك فمٌ؟ قال: نعم. قُلتُ: فما تصنع به؟ قال: أذوقُ به الطعام. قُلتُ: فلك أُذنٌ؟ قال: نعم. قُلتُ: فما تصنع بها؟ قال: أسمعُ بها الصوت. قلتُ: ألك قلبٌ؟ قال: نعم. قلتُ: فما تصنع به؟ قال: أُميزُّ به كلّما ورد على هذه الجوارح والحواسّ. قُلتُ: أوَليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟ فقال: لا. قُلتُ: وكيف ذلك وهي صحيحةٌ سليمة؟ قال: يا بُني، إنَّ الجوارح إذا شكّت في شيءٍ شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب؛ فيستيقن اليقين ويُبطل الشكّ. قال هُشام: فقُلت له: فإنّما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم. قُلتُ: لا بُدّ من القلب وإلاّ لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

فقلتُ له: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يُصحّحُ لها الصحيح، ويتيقن به ما شكّ فيه، ويترك هذا الخلق كُلهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيمُ لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيمُ لك إماماً لجوارحك تردُّ إليه حيرتك وشكّك!

قال: فسكت ولم يقُلْ شيئاً، ثمّ التفت إليّ فقال لي: أنت هُشام بن الحكم؟

فقلتُ: لا. قال: أمن جُلسائه؟ قُلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قال: قُلتُ من أهل الكوفة.

قال: فأنت إذاً هو. ثمّ ضمنّي إليه، وأقعدني في مجلسه، وزال عن مجلسه وما نطق حتّى قُمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: «يا هُشام، مَنْ علَّمكَ هذا؟».

قُلتُ: شيءٌ أخذته مِنْكَ وألَّفته.

فقال: «هذا والله مكتوبٌ في صُحف إبراهيم وموسى»[1].

فهكذا هو حال الإمام المعصوم عليه السلام قلبُ الإنسان، فهو بلا إمام كأنّما بلا قلب، وكيف بالإنسان إذا كان بلا قلب، أو دخل السهم المثلّث إلى قلبه؟!

قال أربابُ المقاتل: كان الحسين عليه السلام يقول: عندما برز إلى القتال:

أنـــــا الحســـــينُ بـــــنُ علـــــي آلـــــــــيت أن لا أنـــــــــثني

أحـــــــــمي عـــــــــيالات أبي أمضـــــي علـــــى ديـــــن النـــــبيّ

وأخذ يضرب فيهم يميناً وشمالاً حتّى قتل منهم خلقاً كثيراً، فلّما نظر الشمر إلى ذلك أقبل إلى عمر بن سعد وقال: أيُّها الأمير، إنَّ هذا الرجل يفنينا عن آخرنا مبارزةً. قال: كيف نصنعُ به؟

قال: نفترق عليه من كلِّ مكانٍ، فافترقوا عليه؛ فرقةٌ ترميه بالنبال والسهام والحجارة، وفرقة يطعنونه بالرماح، وفرقة يضربونه بالسيوف حتّى أثخنوه بالجراح.

قال في اللهوف: حتّى أصابته اثنان وسبعون جُراحة.

فوقف ليستريح ساعةً وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقفٌ إذ أتاه حجرٌ فوقع في جبهته، فسالت الدماء على وجهه ولحيته.

---

(١) الكافي ١ / ١٦٩ - ١٧١، كتاب الحجة ح٣.

فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه إذ أتاه سهمٌ محدّد له ثلاث شُعب فوقع في قلبه، ثمّ أخذ السهم وأخرجه من وراء ظهره، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلّما امتلأت رمى بها إلى السماء فما رجع من ذلك الدم قطرة، ثمّ وضع يده تحت الجُراح، فلّما امتلأت دماً لطخ بها رأسه ولحيته، وقال: «هكذا والله أكونُ حتّى ألقى جدّي مُحَمَّداً وأنا مخضوبٌ، وأقولُ: يا رسولَ الله، قتلني فلان وفلان»[1].

هذا وزينب عليها السلام تنظر أخاها بلا معين، ولا مؤازر، ولا عشيرة بعد ما خرجت مع أهل بيتها:

دنـــظر لـــلعشيره اشـــكثر حلـــوه ... تـــحلّ الـــموزمه أو تكشـــف البلـــوه

أدّوا لـــبو اليمـــه اشـــروط الأخـــوه ... أو ســـوّوا يـــوم إلـــه للحشـــر تـــذكار

الـــفواطم لـــو اثلاثـــه مـــن زلمهـــا ... عگـــب احســـين كـــون احضـــرت يمّهـــا

چـــا مـــحّد جـــسر يـــحرك خيمهـــا ... ولا ســـلبوا يتيمـــه ولا نهـــب صـــار

أنـــه اتمنيـــت هالنهضـــه انهضـــوها ... الـــزينب يـــوم اجـــوها ايســـلبّوها

والذيـــج الـــيتيمه الـــروّعوها ... ابـــضربها أوتلتهـــب بـــذيالها النـــار

---

(١) مجمع المصائب ١ / ٢٥٣ - ٢٥٥.

(بحراني):

فـرّت يـتيمة امدوهنـة امـن اخيـام الحسـين تـبچي أوتنـادي ياخلـكَ درب الغـري منـين

گلـها عـدوا مـن الگـوم اسـمعي ياحزينـه ابـــعيد الـــغري ويـــنچ يـــهالحرة ويـــنه

مـــمشه ثـــلث تـــيّام چـــانچ تـــوصلينه واشـلون بـس وحـدچ إبهـذا الـبر تسـيرين

گالـــت أبـــوي حـــسين دلـــيني بـــجسمه إيگولـون مـن فـوگ الثـرى المخضّـب إبدمـه

إبـيا كـتر صـارت صـيحته أرد أصـل يمّـه بلچـت يحـاچيني أمـن أنادي ابصـوت يحسـين

* * *

أحـــبايَ لـــو غـــيرُ الحِمـــام أصـــبابَكُم عتبـتُ ولكـن مـا علـى المـوتِ معَتَـبُ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الثاني

معجزات الحسين عليه السلام

المجلس الثاني

معجزات الحسين عليه السلام

اللهُ أيُّ دمٍ في كربـــــــلا سُـــــــفكا ... لم يجــرِ في الأرض حــتّى أوقــف الفلكــا

وأيُّ خيــلِ ضــلالٍ في الطفــوفِ عــدت ... عـــلى حـــريمِ رســـولِ اللهِ فانتهكـــا

يـــومٌ بـــحاميةِ الإســـلامِ قـــد نهضـــتْ ... لـــــهُ حمـــــيةُ ديـــــنِ اللهِ إذ تـــــركا

رأى بأنّ ســـــبيلَ الـــــغي مـــــتّبعٌ ... والـــرشدَ لـــم تـــدرِ قـــومٌ أيّـــةً سُـــلكا

والـــناسَ عـــادت إلـــيهم جـــاهليتهمْ ... كـــأنَّ مَـــنْ شـــرّع الإســـلامَ قـــد أفكـــا

وقـــد تـــحكّمَ بـــالإسلامِ طـــاغيةٌ ... يُـــمسي ويُـــصبحُ بالفحشـــاءِ منهمكـــا

لـــم أدرِ أيـــن رجـــالُ المســـلمينَ مضـــوا ... وكـــيفَ صـــارَ يـــزيدٌ بـــينهم ملكـــا

الـــعاصرُ الـــخمرَ مـــن لـــؤمٍ بعنصـــره ... ومـــن خـــساسةِ طبـــعٍ يعصـــرُ الودكـــا

لـــئن جـــرت لفظـــةُ التوحيـــدِ في فمـــهِ ... فـــسيفهُ بـــسوى الـــتوحيدِ مـــا فتكـــا

قـــد أصـــبحَ الـــدينُ منـــه يشـــتكي ســـقماً ... ومـــا إلـــى أحـــدٍ غـــيرَ الحســـينِ شـــكا

فـــما رأى الســـبطُ للـــدينِ الحنيـــفِ شـــفا ... إلاّ إذا دمـــــهُ فـــــي كـــــربلا سُـــــفكا[1]

---

(١) القصيدة للسيد جعفر الحلّي رحمه الله، قال عنه السيّد جواد شبّر رحمه الله في أدب الطفّ: السيد جعفر كمال الدين الحلّي النجفي. عُرفت هذه الأسرة بالانتماء إلى الجدّ السادس لصاحب هذه الترجمة، وهو السيد كمال الدين بن منصور، فهو جدّ الأسرة الكمالية المنتشرة في الحلّة وضواحيها، والنجف والكوفة، وقد كتب عنها مفصّلاً الخطيب اليعقوبي في (البابليات).

كما أقام الشواهد على شاعريته، وسرعة البديهة عنده، وديوانه أصدق شاهد على سموّ شعوره، وكان من حقّه أن يطلق اسم (سحر بابل وسجع البلابل) على ديوانه قبل أن يُجمع، والذي جمعه أخوه السيد هاشم بعد وفاة الشاعر. توفي فجأة في شعبان لسبع بقين من سنة ١٣١٥ هـ، ودُفن في وادي السلام بالنجف الأشرف عند قبر والده على مقربة من مقام الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه)...

نشأ السيد جعفر فاستطرف قدر حاجته من مبادئ النحو والصرف، والمنطق والمعاني والبيان، وصار يختلف إلى مدارس العلماء وحوزاتها الحافلة بالفقه، وهو في كل ذلك حلو المحاضرة، سريع البداهة، حسن الجواب، نبيه الخاطر، متوقد القريحة، جريّ اللسان... برع في نظم الشعر وهو دون الثلاثين، وأصبح من الشعراء المعدودين الذين تلهج الألسن بذكرهم وتتغنى بشعرهم... وأشهر قصيدة له رائعته التي مطلعها:

وجـــــهُ الصـــــباح علـــــيّ ليـــــلٌ مظلـــــمُ ... وربيـــــعُ أيامـــــي علـــــيّ محـــــرّمُ

وهذه القصيدة التي تزيد على السبعين بيتاً كلّها من الشعر المنسجم. (أدب الطفّ ٨ / ٩٩ - ١١٠).

ولسان حال الزهراء عليها السلام لما نظرت إلى ولدها، يصفها الشاعر:

(فايزي):

شـــلتك ابـــطني تســـعة أشـــهر يا حنيـــني وســـهرت لـــيلي أُووســـديتك عـــن يميـــني

تـــاليها مرمـــي علـــه الثـــرى تنظـــرك عيـــني عگـــب الـــدلال علـــى التربيـــه اتنـــام يحســـين

***

يـــحسين يـــبني مصـــرعك گطّـــع گليـــبي يـــاريت دونـــك يـــذبحوني يا حبيـــبي

أبـــروحي فـــديتك وشـــربت صـــافي حليـــبي أُو بـــرباك يوليـــدي اســـهرت يا گـــرة العـــين

(أبو ذيّة):

الحرايـــر مـــن لهيـــب النـــار هـــاجن ولعـــد جســـمك يبـــو الســـجاد هـــاجن

تگللـــك عـــلينه الـــليل هـــاجن وانـــته امـــوسد الغـــبره رميـــه

وكأنّي بالحرائر:

يفـترّن خـوات احسـين مـن خيمـة لعـد خيمـه ينخن وين راحوا وين ما كو بالكفر شيمه

كـلّ خيمـه تشـبّ ابنـار ردّن ضـربن الهيمـه والسجّاد إجوسحبوه أودمعه على الوجن ساله

روى محمّد بن مسلم عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ، قال: سمعتهما يقولان: «إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعدّ أيام زائره جائياً وراجعاً من عمره».

قال محمّد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام : هذه الخلال تنال بالحسين، فما له هو في نفسه؟

قال: «إنّ الله تعالى ألحقه بالنبي صلى الله عليه وآله فكان معه في درجته ومنزلته». ثمّ تلا أبو عبد الله عليه السلام : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم﴾[1].

الإمام الحسين عليه السلام مدهش للعقول، محيرٌ للألباب؛ لكثرة ما صدر منه من معجزات ظاهرات، وكرامات باهرات، حتّى نُقل عن السيد البحراني أنّه ذكر مئتين في كتابه « مدينة المعاجز ».

ويمكن تقسيم تلك المعجزات إلى عدّة أقسام من حيث كونها قبل الولادة وبعد الولادة وبعد الشهادة إلى غير ذلك.

روى الأوزاعي عن عبد الله بن شدّاد، عن أُمّ الفضل أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، رأيت الليلة حُلماً منكراً!

قال: «وما رأيت؟».

فقالت: إنّه شديد!

قال: «وما هو؟».

قالت: رأيت كأنَّ قطعةً من جسدك قُطعت ووضِعت في حجري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «خيراً رأيتِ؛ تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك».

فولدت الحسين عليه السلام وكان في حجري كما قال (صلوات الله عليه وآله). قالت: دخلت به يوماً على النبي صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره، ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! ما لك؟!

---

(١) إعلام الورى ١ / ٤٣١، والآية من سورة الطور / ٢١.

قال: «أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربة حمراء»[1].

وعن أُمّ سلمة (رضي الله عنها) قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر، ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبرّاً؟!

فقال: «أُسِري بي في هذه الليلة إلى موضع من العراق يُقال له: كربلاء، فأُريت فيه مصرع الحسين ابني، وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط من دمائهم، فها هي في يدي»، وبسطها فقال: «خذيه واحتفظي به».

فأخذته فإذا هو شبه تُراب أحمر، فوضعته في قارورة، وشدّدت رأسها واحتفظت بها، فلمّا خرج الحسين عليه السلام متوجّهاً نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة فأشمّها، وأنظر إليها ثمّ أبكي لمصابه.

فلمّا كان يوم العاشر من المحرّم - وهو اليوم الذي قُتل فيه - أخرجتها أوّل النهار وهي بحالها، ثمّ عُدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي، وكظمت غيظي؛ مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتّى جاء الناعي ينعاه فحقّق ما رأيت[2].

وأمّا معجزاته في يوم عاشوراء فهي عديدة، نذكر بعضاً منها:

فمنها: دعا عليه السلام على أحد أعدائه « حويزة » الذي قال للإمام عليه السلام : تعجّلت

---

(١) إعلام الورى ١ / ٤٢٧.

(٢) المصدر نفسه / ٤٢٩.

بالنار قبل يوم القيامة؟

فقال عليه السلام: «اللَّهُمّ حزه إلى النار». فوقع في النار[1].

ودعا عليه السلام على ذاك الذي قال: يا حسين، لن تذوق الماء حتّى ترد الحامية فتشرب من حميمها.

فقال عليه السلام: «اللَّهُمّ اقتله عطشاً». فما زال يشرب حتّى فتقت بطنه[2].

ودعا عليه السلام على ذاك الذي اعترضه في خطابه، فقال عليه السلام: «اللّهمّ أرنا فيه ذلاً بارزاً». فمضى لقضاء حاجته فلسعته عقرب، فسقط وهو يستغيث ويتقلّب على حدثه[3]. وغيرها من المعجزات الباهرة، والكرامات التي حيّرت العقول، وأذهلت البشر، وكيف لا وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

ويكفيه فخراً (صلوات الله عليه) ما ذكرناه في الحديث الذّي افتتحنا به المجلس أن جعل الله الأئمّة من ذرّيته، والشفاء في تربته لكثير من الأمراض المستعصية وغيرها، حتّى روي عن العلاّمة السيد نعمة الله الجزائري أنّه كان يُطالع على ضوء القمر؛ لأنّه كان لا يمتلك ثمن زيت للسراج؛ لشدّة فقره، فكان يضعف بصره، فيكتحل بتربة سيد الشهداء عليه السلام فيتضاعف بصره أضعافاً مضاعفةً.

ومن هنا ينبغي الالتفات جيداً إلى الاهتمام بتربة الأئمّة عليهم السلام، وبالخصوص تربة سيد الشهداء عليه السلام؛ فقد ظهرت من التربة الشريفة كرامات مشاهدة

---

(١) تاريخ الطبري٤ / ٣٢٧، مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢١٥، بحار الأنوار ٤٥ / ٣٠٢.

قال في البحار: روى شيخنا الطوسي عليه السلام عن موسى بن عبد العزيز قال: لقيني يوحنّا بن سراقيون النصراني الطبيب فأستوقفني، وقال لي: بحقّ نبيّك ودينك، مَنْ هذا الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قصر بن هبيرة؟ مَنْ هو من أصحاب نبيّكم؟

قلت: هو ابن بنت نبيّنا، فما دعاك إلى المسألة عنه؟

فقال: عندي حديث طريف.

قلت: حدّثني به.

فقال: وجّه إليّ خادم الرشيد شابور الكبير في الليل، فصرت إليه، فقال: تعال معي. فمضى وأنا معه حتّى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي، فوجدناه زائل العقل، متكئاً على وسادة، وإذا بين يديه طشت فيها حشو جوفه، فأقبل شابور على خادم موسى وسأله عن سبب تغيّر حاله، وقال له: ويحك فأخبره!

فقال له: أخبرك؛ إنّه كان من ساعته جالساً وحوله ندماؤه، وهو من أصح الناس جسماً وأطيبهم نفساً؛ إذ جرى ذكر الحسين بن علي عليه السلام، فقال موسى: إنّ الرافضة ليغلون فيه حتّى أنّهم يجعلون تربته دواءً يتداوون به!

فقال لهم رجل من بني هاشم كان حاضراً: قد كانت بي علّة غليظة فتعالجت لها بكلّ علاج فما نفعني حتّى وصف لي كاتب أن آخذ من هذه التربة، فأخذتها فنفعني الله بها، وزال ما كنت أجده.

فسأله موسى: هل بقي منها عندك شيء؟

قال: نعم.

فوجّه فجيء منها بقطعة، فناولها إيّاه، فأخذها موسى وأدخلها في دبره؛ استهزاءً بمَنْ تداوى بها، واحتقاراً وتصغيراً بالحسين عليه السلام، فما

هو إلاّ أن استغلها دبره حتّى صاح: النار النار! الطشت! فجئناه بالطشت، فأخرج فيها ما ترى، فانصرف الندماء، فصار المجلس مأتماً. فأقبل عليّ شابور وقال: انظر هل لك فيه حيلة؟

فدعوت بشمعة فنظرت فإذا كبده وطحاله، وريته وفؤاده خرجت منه في الطشت، فقلت: ما لأحد في هذا صنع إلاّ أن يكون لعيسى بن مريم الذي يحيي الموتى.

فقال شابور: صدقت، ولكن كن هاهنا في الدار حتّى تتبيّن ما يكون أمره. فبتّ عندهم وهو بتلك الحالة، ما رفع رأسه حتّى هلك في وقت السحر.

قال الراوي: كان يوحنّا يزور قبر الحسين عليه السلام وهو على دينه، ثمّ أسلم بعد هذا وحسن إسلامه[1].

ومن كراماته عليه السلام ومعجزاته الباهرة إجابة الدعاء عند قبره، حتّى إنّ المعصوم نفسه يرسل أصحابه ليدعو عند قبره عليه السلام.

قال أبو هاشم الجعفري صاحب الإمام الهادي عليه السلام: دخلت على أبي الحسن الهادي وهو محموم عليل، فقال: «يا أبا هاشم، ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعو الله لي».

فخرجت من عنده، فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال الإمام عليه السلام، وسألته أن يكون هو الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكنّني أقول: إنّه أفضل من الحائر إذا كان بمنزلة مَنْ في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له في الحائر.

فأعلمته ما قال: فقال لي: قل له: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر. وإنّ لله

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٣٩٩ «مع اختلاف يسير».

تبارك وتعالى بقاعاً يحبّ أن يُدعى فيها، فيجيب لمنْ دعاه، والحائر منها»[1].

ونفس زيارة الحسين عليه السلام معجزة بحدّ ذاتها، وخاصة زيارة عاشوراء؛ فإنّ لها أثراً عجيباً في حلّ المشكلات ودفع البلاءات.

يروى أنّه أُصيبت مدينة سامراء بالطاعون، فكان يتساقط عشرات الناس في كلّ يوم، يحدّث الشيخ عبد الكريم الحائري: إنّي كنت عند أُستاذي محمّد فشاركي، فقدم الميرزا محمّد تقي الشيرازي وقال: إذا حكمت بحكم تلتزمون به؟

فأجابوا: نعم.

فقال: أحكم أن يقرأ الشيعة من اليوم وحتّى عشرة أيام زيارة عاشوراء، ويهدون ثوابها إلى نرجس والدة الإمام الحجّة عليها السلام. فقام الشيعة بتنفيذ الحكم، وبدؤوا بزيارة عاشوراء، فارتفع الوباء ولم يسقط شيعي واحد بعد ذلك.

فزيارته لا تعدّ من العمر، بل أكثر من ذلك زيارته تهب العمر، ولا يستطيع أيّ إنسان أن يحصي معاجزه (صلواته الله عليه)؛ ومن أجل ذلك بقي مأتم سيد الشهداء، وشاء الله أن يبقى مجلسه عليه السلام خالداً وينتشر يوماً بعد يوم بشكلٍ أوسع رغم منع المانعين وحقد الحاقدين؛ لأنّ الحسين عليه السلام نور الله، ونور الله لا يطفأ؛ ولأنّ الحسين عليه السلام كلمة الله، وكلمة الله هي العليا؛ ولأنّ الحسين عليه السلام يد الله، ويدُ الله فوق أيديهم؛ ولأنّ الحسين عليه السلام ذكر الله، وذكر الله باقٍ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

وهذا ما أكّدته

---

(١) بحار الأنوار ٩٨ / ١١٤ - ١١٥، ح٣٤.

(٢) سورة الحجر / ٩.

العقيلة زينب عليها السلام في مجلس يزيد (لعنه الله)، حيث قالت: « كِد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك؛ فوالله لا تُميت وحينا، ولا تمحو ذكرنا »[1].

هذه المآتم التي كانت وما زالت لم ولن تنطفئ منذ أن انعقد أوّل مجلس على سيد الشهداء عليه السلام إلى يومنا هذا، وكان أوّل مأتم أُقيم على الحسين عليه السلام بعد شهادته الشريفة كان لجموع الأنبياء والأولياء عليهم السلام، بحضور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كما ذكر ذلك الجمّال (لعنه الله) الذي جاء لسلب أبي عبد الله عليه السلام، يقول:

بينا أنا كذلك وإذا سحابتان نزلتا على مصرع أبي عبد الله عليه السلام؛ السحابة الأولى مجموعة رجال يقدمهم شخص أزهري قمري، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، والسحابة الثانية مجموعة نساء تقدمهنَّ امرأة عليها ثياب سواد، تقوم وتقع، وهي تنادي: «أي وا ولداه وا حسيناه! بُني حسين، قتلوك! ومن شرب الماء منعوك! وما عرفوا مَنْ أُمّك ومَنْ أبوك!».

أقبلت إلى مصرع ولدها الحسين عليه السلام، عزّ عليها أن تراه مقطّع الأعضاء، الدماء تسيل من نحره الشريف، وقعت عليه تضمّه، تشمّه، تُقبّله، قالت: «أبه يا رسول الله، دعني أُخضّب وجهي بدم ولدي». فقال لها: «بُنية، أخضبي ونحن نخضب».

فالسيدة الزهراء عليها السلام أقامت المأتم على عزيزها الحسين عليه السلام، ولكن مَنْ الذي قرأ التعزية في ذلك المجلس؟

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف / ٢١٨، بحار الأنوار ٤٥ / ١٣٥.

أقول: التي قرأت التعزية ابنتها العقيلة زينب عليها السلام.

يقول بعض العلماء: لما خرجت زينب عليها السلام من الخيمة يوم عاشوراء تمثّل لها رسول الله صلى الله عليه وآله واقفاً على مصرع أبي عبد الله، قابضاً على كريمته المباركة، ودموعه تتحادر على لحيته؛ ولذا وجّهت الخطاب مباشرة إلى جدّها: يا جدّاه يا رسول الله، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسينك بالعراء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، مرفوع الرأس على القنا، وبناتك سبايا، وإلى الله المشتكى، ثمّ إليك يا رسول الله[1].

يـــهلنا احـــسينكم رضّـــوا اضـــلوعه وضـــاگ المـــوت روعـــه بعـــد روعـــه
يـــجدّي گـــوم شـــوف احســـين مـــذبوح علـــه الشـــاطي وعلـــه الـــتربان مطـــروح
يـــجدّي مـــا بگتلـــه امـــن الطعـــن روح يـــجدّي گلـــب خويـــه احســـين فطّـــر
يـــجدّي مـــات مـــحّد وگـــف دونـــه ولا نغّـــار غمـــضله اعـــيونه
يـــعالج بـــالشمس مـــنخطف لونـــه ولا واحـــد ابـــحلكه مـــاي گطـــر

---

(١) الطريق إلى منبر الحسين عليه السلام / ١١٦ - ١٢١.

يـــجدّي مـــات مـــحّد مـــدد إيديـــه ولا واحـــد يـــجدّي عـــدل رجليـــه
يـــعالج بـــالشمس محّـــد وصـــل ليـــه يـــحطله اظـــلال يا جـــدّي مِـــن الحـــر

***

يـــجدّي الـــرمح بـــقّاده تـــثنّه يـــجدّي بـــالوجه للســـيف رنّـــه
يجـــدّي الخيـــل صـــدره رضرضـــنه ويـــجدّي بـــالترب شـــيبه تعفّـــر

ثمّ وجّهت التعزية إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام:

يـــبويه تـــعالوا لـــبنكم غـــسلوه والچفـــن وياكـــم دجيـــبوه
وجـــيبوا كـــطن لـــلجرح نشـــفوه وعـــله اجـــتافكم لـــحسين شـــيلوه

***

يبويـــه گـــوم شـــوف اعزيـــزك إحســـين عـــله الـــتربان محـــزوز الوريـــدين
وعـــباس النفـــل مگطـــوع اليـــدين وباگـــي اقمارنـــه فـــوگ الوطيّـــه

يـــبويه گـــوم شـــوف اشـــلون وليـــاي كـــلها امذبّحـــه ومـــا ضـــاكت المـــاي
يـــبويه لـــو تشـــوف اشماتـــة اعـــداي وتـــشوف ابـــناتك مســـلّبه بهلـــبر

***

يـــبويه شـــلسبب مـــا جيـــت للســـاع تشـــوف اعزيـــزكم عـــاري علـــه الگـــاع
أريـــــدك تـــــجي لـــــحسين فـــــزاع ونشـــوف اغبـــار ميمونـــك امـــن ايثـــور

* * *

يا ليـــتَ في الأحيـــاءِ شخصـــك حاضـــرٌ وحـــــسينُ مطـــــروحٌ بعرصـــــة كـــــربلا

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،
وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون
والعاقبة للمتقين.

المجلس الثالث

الحسد

المجلس الثالث

الحسد

ولّـــى الـــشبابُ وأيـــامُ الصـــبا دُرســـت ... وشـــعلةُ الـــشيبِ مـــنها مـــفرقي التهبـــا
والـــدهرُ شـــنَّ عـــليَّ الـــيومَ غـــارتَه ... كأنّـــما تـــرة عنـــدي لـــهُ طـــلبا
ولا مـــــلاذَ ولا ملـــــجأ ألـــــوذُ بـــــهِ ... مـــن الـــزمانِ إذا طـــرفُ الزمـــانِ كبـــا
ســـوى إمـــامِ الهُـــدى المهـــدي مُعتصـــمي ... وجنـــةٍ أتّـــقي عـــنّي بـــها الـــنوبا
مَـــنْ يـــملأ الأرضَ عـــدلاً بعـــد مـــا مُلئـــت ... جـــــوراً ويوردنـــــا تـــــيّارَهُ الـــــعذبا
مـــتى نـــراه وقـــد صـــفّت بـــهِ زمـــرٌ ... مـــن آلِ هـــاشمٍ والأمـــلاكُ والـــنقبا
يـــا ثائـــراً غـــضَّ جـــفنَيهِ علـــى مضـــضٍ ... هـــلاّ أتـــاك بـــأخبارِ الـــطفوفِ نـــبا
غـــداة حـــلّ أبـــو الـــسجادِ ســـاحتَها ... وأُســـدُ هـــاشم لـــلهيجا قـــد انـــتدبا
يأبـــى الدنـــيةَ ســـبطُ الـــمصطفى فلـــذا ... عـــن ذلّـــةِ العـــيشِ في عـــزِّ الـــوغى رِغبـــا
وبعـــد مـــا لـــفَّ أولاهـــم بـــآخرِهم ... وساقـــهم فســـقاهم أكـــؤساً عـــطبا
أصابـــه حَـــجرٌ قـــد شـــجّ جـــبهته ... وشـــيبه مـــن مُـــحيّاه قـــد اختضـــبا[1]

---

(١) القصيدة للسيد مهدي السيد هادي القزويني رحمه الله، قال عنه في (أدب الطفّ ٩ / ٣١١ - ٣١٢): السيد مهدي ابن السيد هادي ابن الميرزا صالح ابن العلاّمة الكبير السيد مهدي الحسيني القزويني الحلّي، علم من الأعلام، وفذّ من أفذاذ الأسرة القزوينية، ويُطلق عليه لقب الصغير؛ تمييزاً له عن جدّه الأعلى.

ولد في بلدة طويريج (الهندية) عام ١٣٠٧ هـ، ونشأ فيها منشأ العزّ والفخار... وبعد ذلك أخذ يتملّى من دروس إخوته الأعلام؛ فحضر عند أخويه الباقر والجواد واستفاد منهما كثيراً، وهاجر إلى بلد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فأتمّ علومه اللسانية والبيانية، كما حضر على السيد كاظم اليزدي في الفقه والأُصول، كما حضر عند الحجة الشيخ هادي كاشف الغطاء وغيرهما من الأساطين، ثمّ هاجر إلى مسقط رأسه ليسدّ الثغرة، ويرشد الضالّ، ويهدي المجتمع،

وكان على جانب من دماثة الخُلق والتواضع، رحب الصدر، يودّ جليسه أن يطيل معه الجلوس، وأن لا ينتهي المجلس مهما امتدت ساعاته الطوال؛ حيث كان لطيف المعشر، خصب المعلومات.

هذا وكانت وفاة المترجم له عشية الأربعاء ١٣ ربيع الأوّل من سنة ١٣٦٦ هـ، وقد شُيّع إلى مرقده الأخير في مقبرة الأسرة بالنجف الأشرف، ولم يعقب من الذكور ذرّية.

(نصاري):

هـــوت فوگـــه أُوگلبهـــا عليـــه طـــاير　　هـــذا حســـين اخـــوي اشـــلون صـــاير

بـــيت الچـــان مگصـــد للعشـــاير　　طـــاح الواســـطة اوللگـــاع هـــوّد

(موشح):

اعلـــه الـــترب طـــايح وهـــو نايم جـــريح　　أُوظـــلّت اجروحـــه يـــويلي دم تســـيح

وهـــو ابهـــذا الحـــال لـــن زينـــب تصـــيح　　گـــوم يـــابن الفحـــل واحمـــي العايلـــه

هـــجمت اعلينـــه تـــره اخيـــول العـــده　　أو صـــارت اخيامـــك يخويـــه امفرهـــده

هـــذا بـــينه الصـــار واعليـــه الســـده　　وابـــنك الـــسجّاد يـــا خويـــه انولـــه

(أبو ذيّة):

روحـــي مـــا زهـــت ســـاعة وصـــاحت　　الـــمثلي مـــنسبت حـــرّه وصـــاحت

علـــه التـــل اوچبـــت زينـــب وصـــاحت　　انـــهبوا يـــحسين خـــدر الفاطميـــه

* * *

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[1].

الحسد: هو تمنّي زوال النعمة عن الآخرين؛ سواء وصلت تلك النعمة إلى الحسود أم لم تصل إليه؛ وعلى هذا الأساس تنصبّ جهود الحسود على فناء ما لدى الآخرين وزواله عنهم، أو تمنّي ذلك.

والحسد مذموم، ويدعو الإنسان إلى الحقد والبغض والكره، وهو من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تُداوى أمراض القلب إلاّ بالعلم والعمل؛ وذلك بأن تعلم حقيقة الحسد وضرره على الإنسان في دار الدنيا والآخرة، وأنّ المحسود لا ضرر عليه، بل يستفيد من ذلك بأن يحصل على الثواب.

ويجب أن يعرف الحاسد أنّ ما عنده وعند غيره هو من قضاء الله وقدره، وأنّ الحسد لا يورّث إلاّ التألّم والعذاب، والهم والغم بلا مقابل وبلا فائدة.

ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد؛ نفس دائم، وقلبٌ هائم، وحزنٌ لازم»[2].

وقال الشاعر:

اصبر على حَسَدِ الحَسو ... دِ فإنَّ صبرَكَ قاتلُه

كالنارِ تأكلُ نفسها ... إنْ لم تجدْ ما تأكلُه

---

(١) سورة النساء / ٥٤.

(٢) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٥٦.

والواقع هو هذا؛ إذ إنّك تجد الحاسد دائماً متألّماً، يتتبّع أحوال الناس، مراقباً لهم، وقد قيل: « مَنْ راقب الناس مات همّاً »[1]. فتجده دائماً مهموماً مغموماً، هائم القلب، ملازماً للحزن كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذه الخصلة الخبيثة أورثت الحزن الدائم لكثير من الناس؛ فهذا هو القرآن الكريم يُصرّح بأنّ أوّل جريمة قتل أُرتكبت في الأرض كان منشؤها الحسد. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

ومناشئ هذه الخصلة الذميمة - من الناحية المعنوية - الضعف في الشخصية، وعقدة الحقارة والجهل، وقصر النظر، وقلّة الإيمان؛ لأنّ الحاسد - في الحقيقة - يرى نفسه أعجز وأقل من أن يبلغ ما بلغه المحسود.

هذا مضافاً إلى أنّه بعمله هذا يعترض على حكمة الله سبحانه وتعالى، واهب جميع النعِم وجميع المواهب، وعلى إعطائه سبحانه وتعالى إلى مَنْ تفضّل بها عليه من الناس؛ ولهذا جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «الحسد أصله من عمى القلب، والجحود لفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً»[3].

وقد حصر بعضهم - كالعلاّمة المجلسي رحمه الله - أسباب الحسد في سبعة أُمور:

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٤٠.

(٢) سورة المائدة / ٢٧.

(٣) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٥٥، وانظر تفسير الأمثل ٣ / ٢٧٥.

الأوّل: العداوة.

الثاني: التعزز، أن يكون من حيث يعلم أنّه يستكبر بالنعمة عليه، وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزّة نفسه.

الثالث: الكبر، أن يكون في طبعه أن يتكبّر على الحسود، ويمنع ذلك عليه بنعمته، وهو المراد بالتكبّر.

الرابع: التعجّب، أن تكون النعمة والمنصب كبيراً فيعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة، كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذ قالوا: (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا)[1]، وأمثال ذلك كثير، فتعجّبوا من أن يفوزوا برتبة الرسالة والوحي والقرب مع أنّهم بشّر مثلهم فحسدوهم، وهو المراد بالتعجّب.

الخامس: الخوف، أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمة، بأن يتوصّل بها إلى مزاحمته في أغراضه.

السادس: حبّ الرئاسة، أن يكون يحبّ الرئاسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها.

السابع: خبث الطينة، أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله[2].

هذه هي أهم مناشئ وأسباب حصول الحسد وصدوره.

---

(١) سورة يس / ١٥.

(٢) الأربعون حديثاً / ١٠٨ - ١٠٩ ضمن الحديث الخامس، وانظر بحار الأنوار ٧٠ / ٢٤٠.

فلو صدرت هذه الخصلة الخبيثة - لا سمح الله - فسوف تترتّب النتائج السلبية عليها، وهناك عدّة نتائج وخيمة تترتّب على الحسد؛ سواء أكانت راجعة إلى نفس الحاسد من حقد وغير ذلك، أم راجعة إلى المحسود نفسه، أم للمجتمع الذي تقع فيه هذه الجريمة الوقحة والخصلة المذمومة عند الله عزّ وجلّ وعند الناس.

ومن أهم هذه النتائج: إنّ الحسود يصرف كلّ أو جلّ طاقاته البدنية والفكرية - التي يجب أن تُصرف في ترشيد الأهداف الاجتماعية - في طريق الهدم والتحطيم لما هو قائم؛ ولهذا فهو يبدّد طاقاته الشخصية والطاقات الاجتماعية معاً.

ومن النتائج الخطيرة أيضاً: هي أن الحسد هو الدافع لكثير من الجرائم في هذا العالم، فلو أنّنا درسنا العلل الأصلية وراء جرائم القتل والسرقة والعدوان وما شابه ذلك لرأينا - بوضوح - أنّ أكثر هذه العلل تنشأ من الحسد، ولعلّه لأجل هذا شُبّه الحسد بشرارة من النار يمكنها أن تهدّد كيان الحاسد، أو المجتمع الذي يعيش في وسطه بالخطر وتعرضه للضرر.

يقول أحد العلماء: إنّ الحسد من أخطر الصفات، ويجب أن يُعتبر من أعدى أعداء السعادة، فيجب أن يجتهد الإنسان لدفعه والتخلّص منه.

والملفت للنظر هو أنّ المجتمعات أصبحت اليوم أكثرها مملوءة بالأمراض والآلام الجسدية من عصبية وغيرها، ومردّ الأكثر من هذه الأمراض إلى خبث

السريرة والحقد والحسد.

ومن هنا ورد عن طبيب النفوس أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صحة الجسد من قلّة الحسد»، و «العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد»[1]. بل وردت روايات تصرّح بأنّ الحسد يضرّ بالحاسد قبل أن يَضُرَّ بالمحسود بل ويؤدّي إلى القتل والموت تدريجاً، وربما يؤدّي إلى الموت دفعه، كما حكي ذلك في التاريخ أنّ رجلاً من أهل النعمة ببغداد في أيام موسى الهادي حسد بعض جيرانه، وسعى عليه بكلّ ما يمكنه ممّا قدر عليه، فاشترى غلاماً صغيراً فربّاه، فلمّا شبّ واشتدّ أمره بأن يقتله على سطح جاره المحسود؛ ليؤخذ جاره به ويُقتل.

حُكي أنّه عمد إلى سكين فشحذها ودفعها إليه، وأشهد على نفسه أنّه دبّره[2]، ودفع إليه من صلب ماله ثلاثة آلاف درهم، وقال: إذا فعلت ذلك فخذ في أي بلاد الله شئت.

فعزم الغلام على طاعة المولى بعد التمنّع والالتواء، وقوله له: الله الله في نفسك يا مولاي وأنت تتلفها للأمر الذي لا يُدرى أيكون أم لا يكون؛ فإن كان لم ترَ مِنه ما أمّلت وأنت ميّت.

فلمّا كان في آخر ليلة من عمره قام في وجه السحر وأيقظ الغلام، فقام مذعوراً، وأعطاه المدية[3]، فجاء حتّى تسوّر حائط جاره برفق، فاضطجع على سطحه، فاستقبل القبلة ببدنه وقال للغلام: ها

---

(١) نهج البلاغة ٤ / ٥٠ و ٥٥، وعنه بحار الأنوار ٧٠ / ٢٥٦ ح٢٨، تفسير الأمثل ٣ / ٢٧٤.

(٢) دبّره: بأن قال للعبد: أنت حُر دبر - أي بعد - حياتي.

(٣) المدية: السكين الكبير.

وعجّل، فترك السكين على حلقه وفرى أوداجه، ورجع إلى مضجعه وتركه يتشحّط في دمِه، فلمّا أصبحَ أهله خفي عليهم خبره، فلمّا كان في آخر النهار أصابوه على سطح جاره مقتولاً، فأُخذ جاره فحبس، فلمّا ظهر الحال أمر الهادي بإطلاقه[١].

ومن النتائج المهمّة أيضاً - بالإضافة إلى ما تقدّم من الحزن والهمّ والضرر للنفس وغير ذلك - هو ذهاب حسنات الحاسد إلى المحسود، وغضب الله عليه. فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إيّاكم والحسد؛ فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[٣]. بل إنّ الحسد هو أصل الكفر كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً؛ فإنّ الكفر أصله الحسد»[٤].

ولو تأمّلنا في معنى الآية التي افتتحنا بها المجلس لرأينا أنّ الآية موجّهة خطابها إلى اليهود بحسب السياق في الآيات التي قبلها؛ حيث إنّ الكلام في الآيات التي قبلها موجّه إلى اليهود من حيث اتصال الكلام لا من حيث حجية السياق دائماً.

---

(١) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٦٠ عنه سفينة البحار ٢ / ١٧٨.

(٢) الدّر المنثور ٢ / ١٧٣.

(٣) الكافي ٢ / ٣٠٦ باب الحسد ح١.

(٤) تحف العقول / ١٣٥.

فالآيات التي قبل هذه الآية موجّهة خطابها إلى النبي الأعظم ﷺ قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ... أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ...). حتّى أنّ بعض المفسّرين فسّر (أم) هنا بـ (بل)، بمعنى: بل اليهود يحسدون الناس على ما آتاهم الله. ومن هنا لا بدّ من معرفة هؤلاء الناس، فمَنْ هم الناس المحسودون؟

قلنا: إنّ الآية موجّهة خطابها إلى النبي ﷺ بأن ينظر إلى اليهود بأنّهم لماذا يتعجّبون من إعطائنا النبي ﷺ وبني هاشم ذلك المنصب الجليل، وذلك المقام الرفيع، وقد أعطاكم الله سبحانه وتعالى، وأعطى إلى إبراهيم عليه السلام الكتاب السماوي والعلم والحكمة والملك العريض، مثل « ملك موسى وسليمان داود »، ولكنّكم - مع الأسف - أسأتُم خلافتهم ففقدتم تلكم النعم المادية والمعنوية القيّمة بسبب فسوقكم وشروركم: (فقد آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً).

والمراد من الناس في قوله: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) - كما أسلفنا - هم رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؛ لإطلاق لفظة الناس على جماعة من الناس، وأمّا إطلاقها على شخص واحد - وهو النبي خاصة - فلا يصح ما لم تكن هناك قرينة على إرادة الواحد فقط.

هذا مضافاً إلى أنّ كلمة إبراهيم قرينة أُخرى على أنّ المراد من « الناس » هو النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؛ لأنّه يستفاد من قرينة المقابلة أنّنا إذا أعطينا لبني هاشم مثل هذا المقام ومثل هذه المكانة فلا داعي للعجب؛ فقد

أعطينا آل إبراهيم أيضاً تلك المقامات المعنوية والمادية بسبب أهليتهم وقابليتهم[١].

أضف إلى ذلك كلّه ما ورد في الروايات في تفسير هذه الآية من طرق الخاصة والعامة[٢] أنّ المقصود من الناس هم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

والمقصود بالملك العظيم الذي أعطاه الله تبارك وتعالى لآل إبراهيم هو الطاعة لهم ولآل المصطفى عليهم السلام، بقرينة المقابلة. وفي بعض الروايات[٣] في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَـاهُمُ اللهُ مِـن فَضْـلِهِ)، قال: «نحن الناس والله»[٤].

ولكن، هلمَّ معي وانظر ماذا صنعوا بهم، يا ليتهم اكتفوا بالحسد بالقلب واللسان، ولكن أبى القوم إلاّ أن يجزروهم على رمضاء كربلاء، ومن بعد ذلك سبوا العيال والأطفال حتّى وصل بهم الأمر إلى سلب النساء.

قالت فاطمة بنت الإمام الحسين عليها السلام: كُنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أُميّة؛ أيقتلوننا أو يأسروننا! فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه، وهنَّ يلذنَ بعضهنَّ ببعض،

---

(١) تفسير الأمثل ٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣، وانظر الميزان أيضاً ٤ / ٣٧٦.

(٢) نسبه في الأمثل إلى الدرّ المنثور وروح المعاني فلاحظ.

(٣) تفسير البرهان ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٦.

(٤) المصدر نفسه.

وقد أخذ ما عليهنَّ من أخمرة وأسورة، وهنَّ يصحنَ: وا جدّاه! وا بتاه! وا عليّاه! وا قلّة ناصراه! وا حسيناه! أما من مجير يجيرنا؟! أما من ذائد يذود عنّا[1]؟!

اشصـــــــاير بهـــــــلنه أُولا لـــــــفونه أو بيـــــــن الأعـــــــادي ضـــــــيّعونه

ننـــــــخه أُولاهـــــــم يســـــــمعونه أُو يـــــــدرون بـــــــينه راح أُخـــــــونه

***

يســـــلبها العـــــدو أُويشـــــتم ولـــــيها أُوجـــــاير بـــــالضرب ويـــــلي عليهـــــا

تـــــهبّط راســـــها أُوتـــــشگف بـــــديها أُودمعهـــا ايســـيل علـــى الوجنـــات محمـــر

(نعي مجاريد):

أنـــــه شـــــايطه ونـــــده ابصـــــوتي يســـــمعوني أو يغضـــــون اخـــــوتي

يا ريـــــت گبـــــل احســـــين مـــــوتي ولا أشـــــوف العـــــده تنهـــــب ابيـــــوتي

مجمع المصائب

---

(١) ١ / ٢٧٠ - ٢٧١.

(أبو ذيّة):

لا ترفـــــع الـــــشيعة بـــــعد هـــــامات أو بنـات أهـل الـوحي امـن الخـيم هامـات

هـــا حـــيٍّ تـــصيح احـــسين هـــا مـــات لـــــون بـــــيه روح مـــــحّد وصـــــل ليَّـــــه

***

أخـــي كيـــف أمشـــي في البـــوادي مضـــامةً وأنـــــت بـــــأسياف الأعـــــادي مـــــوزَّعُ

***

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الرابع

الرضا بقضاء الله

المجلس الرابع

الرضا بقضاء الله

يـــا مَـــنْ يلـــومُ علـــى البكـــاءِ عيـــوني ... دعـــها تُخفِّـــف لـــوعتي وشـــجوني

مَـــن مُـــبلغٌ أُمَّ الـــبنين رســـالةً ... مِـــنْ والـــهٍ بـــشجونه مرهـــونِ

لا تـــسألُ الـــرُّكبانَ عـــن أبنائهـــا ... فـــي لـــوعةٍ لـــفراقهم وحـــنينِ

أوَ مـــا درت بفعـــالهم يـــومَ الـــوغى ... فـــي كـــربلاءَ وهُـــم أعـــزُّ بنـــينِ

فلتـــأتِ أرضَ الطـــفِّ تنظـــرُ ولْـــدَها ... ثـــاوينَ بـــين مـــقطَّعٍ وطـــعينِ

ومُـــوسَّدين علـــى الصـــعيدِ فـــديتُهمْ ... صـــرعى بـــلا غُســـلٍ ولا تكفـــينِ

وقضـــوا ضـــحايا كالحســـينِ زعـــيمهمْ ... مـــا بـــلَّلوا أحـــشاءَهم بمعـــينِ[1]

---

(١) القصيدة للشيخ حسن قفطان، قال عنه السيد جواد شبّر في أدب الطفّ: الشيخ حسن بن علي بن عبد الحسين بن نجم السعدي الرباحي (نسبة إلى آل رباح؛ فخذ من بني سعد العرب المعروفين بالعراق، قال السيد مهدي القزويني في (أنساب القبائل العراقية): بنو سعد بطن من العرب، منهم في الدجيل، ومنهم في كربلاء)، الدجيلي الأصل، اللملومي المحتد، النجفي المولد والمسكن والمدفن، الشهير بقفطان.

ولد في النجف الأشرف سنة ١١٩٩، وتوفي بالنجف سنة ١٢٧٩ عن عمر يناهز الثمانين كما في الطليعة، ودُفن في الصحن الشريف العلوي عند الإيوان الكبير المتصل بمسجد عمران.

كان فاضلاً ناسكاً تقيّاً، محبّاً للأئمّة الطاهرين، وأكثر شعره فيهم. درس الفقه على الشيخ علي ابن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر حتّى نبغ فيه، وعُدّ من الأعلام الأفاضل، واختصّ أخيراً بصاحب الجواهر، وكان يُعدّ من أجلّ تلامذته وأفاضلهم، اتخذ الوراقة مهنة له، وورث ذلك عنه أبناؤه وأحفاده، إلاّ أنّه كان يمتاز عنهم بإتقان الفقه واللغة والبراعة فيهما.

وهذا ما حدا بأستاذه أن يحيل إليه وإلى ولده الشيخ إبراهيم تصحيح الجواهر ومراقبته حتّى قيل: إنّه لولاهما لما خرجت الجواهر؛ لأنّ خطّ المؤلّف كان رديّاً، وقد كتب النسخة الأولى عن خطّ المؤلّف، ثمّ صارا يحترفان بكتابتها وبيعها على العلماء وطلاب العلم، وأكثر النسخ المخطوطة بخطهما، وهذا دليل على أنّ المترجم كان يعرف ما يكتب، وكان جيّد الخطّ والضبط.

ويظهر من ترجمة سيدنا الصدر له أنّه كان جامعاً مشاركاً في العلوم بأكثر من ذلك؛ فقد قال في (التكملة): كان في مقدّمي فقهاء الطائفة، مشاركاً في العلوم، فقيهاً أصولياً، حكيماً إلهياً، وكذلك له التقدّم والبروز في الأدب وسبك القريض، وله شعر من الطبقة العليا. توفي سنة ١٢٧٥ كما في التكملة، أو ٧٧ كما في (الطليعة)، وقال: ودُفن في الصحن العلوي الشريف عند الإيوان الكبير المتصل بمسجد عمران.

وترك آثاراً هامة، منها: (أمثال القاموس)، و (الأضداد)، و (طبّ القاموس)، ورسالة في الأفعال اللازمة المتعدية في الواحد.

وخلف من الذكور الشيخ إبراهيم، والشيخ أحمد، والشيخ حسين، والشيخ محمّد، والشيخ علي، والشيخ مهدي. وفي (الكرام البررة) أنّ الشيخ حسين توفي في حياة أبيه حدود سنة ١٢٥٥. (أدب الطفّ ٧ / ١٠٥ - ١٠٧).

(بحراني):

بالله اســـتعدى لـــلبواچي يـــم البنـــين ردّوا يـــتامى وانـــذبح عبـــاس واحســـين

أُمّ الـــبنين أتـــذبّحوا كلّهـــم علـــى الگـــاع وحســـين ظـــل امجـــرّد ومكســـور الاضـــلاع

ومـــخدّرة حـــيدر علـــي فـــرّت بـــلا اقنـــاع ويّـــه الحـــرم والنـــار تســـعر بالصـــواوين

أُمّ البنـــين الأربـــعة انـــذبحوا ضـــمايا وظـــلّوا ثـــلث تـــيّام بـــالغبره عـــرايا

ليـــتچ نظـــرتي علـــى النهـــر صـــاحب الرايـــه مفضـــوخ راســـه امگطّعـــه اشمالـــه واليمـــين

وكأنّي بها صاحت:

(قطيفي):

يا ليـــت عنـــدي مـــن الولـــد ســـبعين مولـــود بـــالمرجله كـــلها مثـــل عبّـــاس وتـــزود

تـــنذبح وابـــن المصـــطفى لـــدياره يعـــود ســـالم ولا تـــنظام زينـــب والخـــواتين

عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «يقول الله (عزّ وجلّ): مَنْ لم يرضَ بقضائي، ولم يشكر لنعمائي، ولم يصبر على بلائي، فليتخذ ربّاً سوائي»[1].

الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى معناه أنّ الإنسان يترك الاعتراض والسخط على قضاء الله وقدره. والرضا بقضاء الله وقدره متعلّق بالحبّ، فإذا حصلت المحبّة بين الإنسان وربّه حصل الرضا بالقضاء النازل من المولى (عزّ وجلّ)؛ لأنّ الحبيب لا يتوقّع من حبيبه إلاّ الخير، بل يحمل جميعَ أفعالِه وما يَصنع به على أحسنها وأتمّها وأقومها.

والرضا بقضاء الله هو أحد أركان الإيمان على ما ورد في بعض الروايات، منها ما روي عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه سأل طائفة من أصحابه، فقال: «ما أنتم؟».

فقالوا: مؤمنون.

فقال: «ما علامة إيمانِكم؟».

فقالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء.

فقال ﷺ: «مؤمنون وربِّ الكعبة»[2].

ونُقلَ أنّ أحد الصالحين كان له ولدٌ مريضٌ، فرآه صاحبه في حالة من

---

(١) بحار الأنوار ٥ / ٩٥ ح١٨.

(٢) مُسكّن الفؤاد / ٧٩.

الحزن والارتباك، والخوف على طفله، وشاهده يدخل ويخرج من باب بيته ويدعو الله (عزّ وجلّ) أن يشفيه، وبعد ساعات مضت رآه وقد خرج من منزله وهو مرتاح، فظنَّ أنّ الطفلَ شُوفِي... فقال له: الحمدُ لله على شفاء الولد.

فقال له الرجل الصالح: لقد مات الطفل.

فتعجّب الرجل وقال له: رأيتك أثناء مرضه وأنت حزين خائف مرتبك عليه، والآن وقد مات أراك مرتاحاً!

فقال له الرجل الصالح: كان علينا أن ندعو الله (عزّ وجلّ) أثناء مرضه، وأن نأتي بالطبيب والدواء، ولكنّ الطفل قد مات، وقد رضينا بقضاء الله وقدره[1].

ثمّ إنّه لا شك أنّ هناك أُموراً تساعد الإنسان على الرضا بقضاء الله وقدره، وأوّل هذه الأمور هو المعرفة والعلم؛ فالإنسان الذي يعلم أنّ الله عادل وحكيم، ولا يقدّر لعبده إلاّ ما هو خير له، لا يسخط على أمر الله (عزّ وجلّ)؛ فالطفل حينما يهرب من الطبيب لا يعلم أنّ هذا الطبيب سوف يعالجه؛ وذلك لمصلحته، وكذلك الجاهل بقدرة الله وعظمته وحكمته يغضب ويسخط إذا ما أصابه قضاء الله.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله (عزّ وجلّ»)[2].

ومِن ثَمَّ أنّ هناك أُموراً حتمية ليس لها طريق آخر؛ فالموت مثلاً قضاء محتّم، ولا مدخل فيه للإرادة الإنسانيّة، فينبغي

---

(١) الأخلاق الآداب الإسلاميّة / ٤٧١ - ٤٧٣.

(٢) الكافي ٢ / ٦٠، باب الرضا بالقضاء ح٢.

للإنسان أن يسلّم للإرادة الإلهية، وفوق التسليم أن يرضى بقضاء الله وقدره ولا يغضب لذلك.

نعم، بعض الأُمور تحتاج إلى السعي؛ مثل ذهاب الإنسان المريض إلى الطبيب، وطلب الرزق، وغير ذلك، أمّا نفس الموت فماذا يصنع له الإنسان وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]؟

إذاً، المعرفة والعلم هما الأمران اللذان يُساعدان الإنسان على الوصول إلى الدرجات العالية لأن يرضى بقضاء الله وقدره؛ ولذا ترى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عندما توفي ابنه إبراهيم عليه السلام حزن وبكى، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربّنا»[2].

وكيف لا، وقد قال تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]؟

فمن هنا ينبغي لنا - نحن المسلمين - الاقتداء بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وإذا رضي الإنسان بقضاء الله وقدره، وصبر على ما ابتلاه به المولى (عزّ وجلّ) سوف يشعر حينئذٍ بالثمرات التي يلمسها بيده، ويحسّها بقلبه، ويحصل على تلك النتائج الباهرة بصورة ملموسة وظاهرة.

وأوّل هذه النتائج وأهمها هو الراحة؛ فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه

---

(١) سورة الأعراف / ٣٤.

(٢) مُسكّن الفؤاد / ٩٣.

(٣) سورة القلم / ٤.

قال: «مَنْ رضي بما قُسم له استراح بدنه»[1].

ومنها ذهاب الحُزن، فلم يحزن على ما فاته، ويكون قريباً من الله تبارك وتعالى. إلى غير ذلك من النتائج العالية الباهرة التي يلمسها الإنسان في الحياة الدنيا، وأمّا ما أعدّه الله تبارك وتعالى له في الآخرة فهو الجنّة بإذنه (عزّ وجلّ).

ومن عجيب قصص الرضا بقضاء الله وقدره ما رواه ذو النون المصري، حيث قال: دخلت المقبرة فرأيت امرأة شابة جالسة وبين يديها قبور أربعة، وهي تنشد هذه الآبيات:

صبرتُ وكانَ الصبرُ خيرَ مطيّةٍ ... وهل جزعٌ يجدي تراه فأجزعُ

صبرتُ على ما لو تحمّلَ بعضَه ... جبالٌ برضوى أصبحت تتصدعُ

فسالت دموعُ العَينِ ثمّ رددتها ... إلى ناظري والعينُ في القلبِ تدمعُ

فقلت: ما الذي نزل بك، وما شأنك؟

قالت: أعجب شأنٍ أصبحت ولي بنون ثلاثة، ولي زوج عطوف، وأمسيت وقد فارقتهم جميعاً، أفنتهم أيدي الزمان.

قلت: وكيف ذلك؟!

قالت: إنّ بعلي قام إلى شاةٍ لنا في البيت فذبحها، وكان لي ابنان صغيران

---

(١) الخصال / ٦٣٢.

جعلا ينظران إلى ما فعل أبوهما، فلمّا خرج أبوهما قال أحدهما للآخر: هَلُمَّ يا أخي حتّى أذبحَك كما ذبحَ أبوك الشاة.

فقال: نعم.

فقام إليه وأخذ السكين وذبحه، وأنا كنت مشغولة ببعض الأُمور، فلمّا أتيت إذا به يخور في دمه ويتمرّغ فيه، فصحت به ويلك ما صنعت بأخيك؟! ذبحته! أُفٍّ لك!

فارتعد واضطرب، وخاف وهرب إلى الصحراء، فدخل أبوهما ووقف على الأمر، ثمّ خرج إلى الصحراء يطلب ابنه، وإذا هو بذئبٍ قد وثب على الغُلام ومزّقه وتناول لحمه، وبقي بعض أعضائه، فحمله أبوه ليدفنه، فبينما هو يسير أصابه عطشٌ شديد، وقد اشتدّ حُزنه على ولديه، فسقط ومات، فبينما أنا باكيه حزينة على ولدي المذبوح إذ أُخبرت وأُنبئت بموت زوجي وولدي الآخر، فخرجت لاستبين الخبر وإذا هو كما قالوا، ولما رجعت إلى الدار إذا بولد آخر لي، وهو طفل صغير، قد أقبل إلى القدر وهو على النار، فوقع في القدر ونضج ومات، وهذه قبورهم، وأنا أصبر على ذلك؛ لأنّي أعلم أنّ الصبر أحجى وأجمل.

ذكّرني حال هذه المرأة الصالحة الصابرة حال أُمّ البنين، كانت تأتي إلى البقيع وتعمل صور أربعة قبور، وبين يديها يتيمي قمر بني هاشم العباس بن علي عليه السلام، وهما عبد الله والفضل، وتندب بنيها أشجى ندبة وترثيهم[1].

ولذا لما رجعت عائلة الحسين عليه السلام إلى المدينة قالت زينب عليها السلام: لا أُريد

---

(١) شجرة طوبى / ٤٠٦.

أحداً يدخل علينا إلاّ مَنْ فقدت لها عزيزاً في كربلاء.

فقالت لها: قولي لسيدتك: إنّي شريكتها في هذا العزاء، وأُريد أن أدخل عليها وأُساعدها؛ فإنّي مثلها في المصاب.

فلمّا أخبرت الجارية زينب، قالت: سليها مَنْ هي التي تكون مثلي في المصاب؟ ثمّ قالت: إن صدق ظنّي فإنّها أُمّ البنين. فرجعت الجارية وقالت لها: سيدتي تقول: مَنْ أنتِ التي مثلها في المصاب؟

قالت: أنا الثاكلة.

قالت: أوضحي لي مَنْ تكونين؟

قالت: أوَما عرفتيني؟! أنا أُمّ البنين.

قالت الجارية: لقد صدقت سيدتي في ظنّها، وإنّك والله كما تقولين أُمّ المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى:

صـــاحت صـــوت آيا فگـــد الاطيـــاب والله أشـــو موحشـــه يـــا دور الأحبـــاب

اهنـــاك اوسمعـــن الصـــرخه علـــى البـــاب أنـــا أم عـــباس اجـــيتچ لا تفـــترين

ثمّ فتحت لها الباب، فلمّا دخلت استقبلتها زينب واعتنقتها، وقالت: عظّم الله لك الأجر في أولادك الأربعة.

فأجابتها أُمّ البنين: وأنتِ عظّم الله لك الأجر في الحسين عليه السلام[1].

بچـــت زيـــنب أُونـــادت تلگنهـــا ... بالله أُويـــاي گومـــن ســـاعدنها

هـــاي أُمّ البنـــين الـــراح منهـــا ... صـــناديد أربعـــة أُو بالحـــرب نفلـــين

بچـــت زينـــب أُوصـــاحت آيحـــزني ... أُولـــفتها أُمّ البنـــين ابضـــلع محـــني

تـــصيح ابصـــوت آيحســـين يبـــني ... هـــاي امصـــيبتك بچّـــت الـــدارين

اشـــلون أُمّ البنـــين اصـــياح صـــاحت ... إهنـــا يحســـين يبـــني روحـــي راحـــت

تـــلگنها الـــحرم عجّـــت أُناحـــت ... زيـــنب بالعـــزه كســـرت الصـــوبين

(أبو ذيّة):

علـــى الأولاد زيـــدي النـــوح يمهـــم ... ابفـــرد ســـاعة الـــدهر بالطبـــك يمهـــم

أحـــب اگصـــد وجـــاور كـــون يمهـــم ... أجـــاورهم لـــما اتجيـــني المنيّـــه

---

(١) مجمع المصائب ٢ / ١٩٦ - ١٩٧.

(تخميس):

يـــا مـــيّتاً تـــرك الألبـــابَ حـــائرةً تـــناوشتْه ســـهامُ الـــبغي راميـــةً

وأعظـــمُ الخطـــبِ في الإســـلامِ داهيـــةً عـــارٍ تـــجولُ عليـــهِ الخيـــلُ عاديـــةً

حاكت لهُ الريحُ ظافي مئزرٍ وردا

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الخامس

العبادة

المجلس الخامس

العبادة

خـــانَ الزمـــانُ بـــنا فـــشتتنا كمـــا ... خانـــت بنـــو صـــخرٍ ببيعـــةِ (مُســـلِمِ)

لـــم أنـــسهُ بـــينَ الـــعدى وجبينُـــه ... كـــالبدرِ فـــي ليـــلِ العَجـــاجِ المظلـــمِ

أفـــديهِ مـــن بطـــلٍ مهيـــبٍ إن ســـطا ... لـــفَّ الـــجموع مـــؤخّراً بـــمقدمِ

شـــهمٌ دعـــته إلـــى البســـالة هاشـــمٌ ... والـــشبلُ لـــلأسدِ المجـــرّبِ ينتمـــي

حـــتّى إذا مـــا أثـــخنوهُ بـــالظُّبا ... ضـــرباً وفي وســـطِ الحفـــيرةِ قـــد رُمـــي

جـــاؤوا إلى ابـــنِ زيادٍ فيـــهِ فمـــذ رأى ... لـــلقصرِ قـــد وافـــهُ غـــير مُســـلّمِ

قـــالَ اصـــعدوا للقصـــرِ وارمـــوا جســـمه ... ومـــن الـــوريدينِ اخضـــبوهُ بالـــدمِ

صـــعدوا بـــهِ للقصـــرِ وهـــو مكبّـــلٌ ... تـــجري دمـــاهُ مـــن الجـــوارحِ والفـــمِ

قتـــلوهُ ظـــامٍ لـــم يـــبلَّ فـــؤادُه ... أفـــديهِ مـــن ظـــامِ الحشـــا متضـــرّمِ

دفعـــوهُ مـــن أعلـــى الطمـــارِ إلى الثـــرى ... فـــتكسّرت منـــهُ حنـــايا الأعظـــمِ[1]

* * *

---

(١) القصيدة للسيد مهدي الأعرجي رحمه الله، قال عنه السيّد جواد شبّر رحمه الله في أدب الطفّ: السيد مهدي الأعرجي ابن السيد راضي ابن السيد حسين ابن السيد علي الحسيني الأعرجي البغدادي.

ولد السيد مهدي في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢ هـ ق، درس فنّ الخطابة على خاله الخطيب الشهير الشيخ قاسم الحلّي، زاول نظم الشعر وعمره أربعة عشر سنة، وأوّل قصيدة نظمها هي قصيدة في رثاء الإمام الحسن السبط عليه السلام:

قضـــى الزكـــيُّ فنوحـــوا يا محبّيـــه ... وابكـــوا عليـــه فـــذي الأمـــلاك تبكيـــه

درس العربية والعروض على العلاّمة الكبير شيخ الأدب السيد رضا الهندي رحمه الله، توفي السيد مهدي سنة ١٣٥٩ هـ ق غريقاً بشط الفرات في الحلّة يوم الخامس من شهر رجب. جمع ديوانه شقيقه الخطيب السيد حبيب.

وللسيد الأعرجي ظرافة وخفّة روح بالرغم من الجهمة التي لا تفارق محيّاه، فلا تكاد تفوته النادرة والنكتة. وأمّا ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام وتفانيه في حبّهم فهو من ألمع ميزاته، ولا زلت أتمثّله في المآتم الحسينية يجهش بالبكاء، وقد أفنى عمره في خدمة المنبر الحسيني. (أدب الطفّ ٩ / ١٩٣ - ١٩٨).

يـــــمسلم ويـــــن ذاك الـــــيوم عبّـــــاس يـــــجيك بـــــشيمته ومـــــفرّع الـــــرأس
أُويشـــوفك يـــوم صـــابك نـــذل الارجـــاس وهـــويت مـــن الگصـــر فـــوك الوطيّـــه

* * *

يـــــمسلم ويـــــن ذاك الـــــيوم عـــــمّك يـــــجيك ايـــــعاينك غـــــارج ابـــــدمك
وحـــــيد ومـــــحّد مـــــن النـــــاس يمّـــــك غـــــريب ابـــــهل الـــــبلد مـــــا لـــــك تچيـــــه

* * *

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

إنّ الغاية من خلق السماوات والأرضين، وجميع المخلوقات هي العبادة والخضوع للخالق العظيم بنيّة خالصة عن طريق معرفته (عزّ وجلّ).

ومن أهم الأسئلة التي تختلج في صدر كلّ إنسان هو: لِمَ خلقنا؟! وما الهدفُ من خلق الناس والمجيء إلى هذه الدنيا؟! وهذه الآية تُجيب على هذا السؤال المهم بتعبير موجز ذات معنى غزير.

لا شك أنّ كلّ فردٍ عاقلٍ وحكيمٍ حين يقوم بعمل فإنّما يهدف من وراء عمله إلى هدف معين، وحيث إنّ الله أعلم من جميع مخلوقاته، وأعرفهم بالحكمة، بل لا ينبغي قياسه بأيّ أحدٍ، فينقدح هذا السؤال، وهو: لِمَ خلق الله الإنسان؟

هل كان يشعر بنقصٍ - أعوذ بالله - فارتفع بخلق الإنسان؟

هل كان محتاجاً - نستجير به تعالى - إلى شيء فارتفع الاحتياج بخلقنا؟

وعليه فلا بدّ لله تبارك وتعالى من هدف؛ لأنّه سيد العقلاء، ولا يخلق شيئاً عن عبث، فلا بدّ من هدف لله تبارك وتعالى وراء خلقه للإنسان. وبحكم كونه تبارك وتعالى هو الكمال المطلق، وليس هناك من شيء يزيده أو ينقصه في كماله، لزم أن يكون الهدف عائداً للإنسان نفسه، وهو

---

(١) سورة الذاريات / ٥٦.

أساس كماله.

فما هو الهدف إذاً؟

الهدف هو ما صرّحت به الآية المباركة، وهو العبودية؛ عبودية الإنسان الناقص للكامل المطلق، عبادة المحدود للامحدود.

إلاّ أنّنا لو تأمّلنا في بعض الآيات القرآنية الأُخرى لرأينا غير هذا الهدف، بل هدفاً آخر؛ ففي بعضها نجد أنّ القرآن يصرّح بأنّ الهدف من الخلق هو الامتحان للإنسان كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1].

وجاء في آية أُخرى أنّ الهدف من خلق الله تبارك وتعالى لنا هو حتّى نعلم بقدرة الله تبارك وتعالى وعلمه (عزّ وجلّ)، كما في قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[2].

وآية ثالثة تشير إلى أنّ الهدف من الخلق هو الرحمة - رحمة الله - قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَو شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3].

---

(١) سورة الملك / ٦.

(٢) سورة الطلاق / ١٢.

(٣) سورة هود / ١١٨ - ١١٩.

وأمّا الآية التي هي محلّ البحث فهي - كما ذكرنا - صريحة بأنّ الهدف من خلق الله تبارك وتعالى للإنسان هو العبادة.

فما هو السبب حينئذٍ؟ فبينما نحن نرى هذه الآية تحصر علّة وسبب الخلق في العبادة، نجد الآيات الأخرى تذكر أموراً أخرى هي السبب في الخلق، خاصة في الآية الثالثة فهي صريحة جدّاً في تعيين سبب الخلق، حيث قال: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

والسبيل إلى ذلك: هو أنّه لو تأمّلنا قليلاً في مفهوم هذه الآيات وما شابهها نرى أنّه لا تضادّ ولا اختلاف بين هذه الآيات، ففي الحقيقة بعضها هدف مُقدّمي، وبعضها هدف متوسط، وبعضها هدف نهائي، وبعضها نتيجة.

فالهدف الأصل هو « العبودية »، وهو ما أُشير إليه في هذه الآية التي هي محلّ البحث، أمّا العلم والامتحان وأمثالهما فهي أهداف ضمن مسير العبودية لله، ورحمة الله الواسعة نتيجة العبودية لله تبارك وتعالى.

وهكذا نعرف، ويظهر لنا بكلّ وضوح أنّنا خُلقنا لعبادة الله تبارك وتعالى، لكنّ المهمّ أن نعرف ما هي حقيقة هذه العبادة؟! فهل المراد منها أداء المراسم، أو المناسك اليومية وأمثالها من صوم وصلاة إلى غير ذلك، أو هي حقيقة وراء هذه الأُمور وإن كانت العبادة الرسمية كلّها أيضاً واجدة للأهمية؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي معرفة معنى كلمة « العبد » و« العبودية » وتحليلها؛

فالعبد لغةً: هو الإنسان المتعلّق بمولاه وصاحبه من قرنه إلى قدمه، وإرادته تابعة لإرادته، وما يطلب ويبتغيه تبع لطلب سيده وابتغائه، فلا يملك في قباله شيئاً، وليس له أن يقصّر في طاعته[1].

وهذا مفهوم عام يشمل حتّى العبيد مع مواليهم العرفييّن؛ ولذا يُذكر أنّ عبداً شاهد مولاه مهموماً، فقال هذا العبد - وكان مؤدّباً وعاقلاً - لمولاه: لماذا أنت مهموم؟

قال المولى: إنّي مديون، والتفكير في الديون سلبني الراحة.

فقال الغلام: حسناً، خذني إلى سوق الرقيق وأعرضني للبيع وبثمني سدّد ديونك.

قال: إنّ لدي قروضاً كثيرة وثمنك لا يكفي لعشر قروضي.

قال الغُلام: بنفس المقدار الذي أنت مقروض به سعّرني.

قال المولى: إنّهم لا يشترونك بهذا السعر.

قال الغلام: قل للزبائن: إنّ هذا الغلام لديه صفة حسنة جدّاً، وارتفاعُ سعره ناجم عن حيازته تلك الصفة؛ إنّ تلك الصفة هي أنّه يعرف جيّداً أُسلوب العبودية.

جاء المولى بالغلام - ولم يفهم مقصود الغلام جيّداً - إلى سوق بيع الرقيق، وسعّره بسعرٍ عادل عشرة أضعاف سعره الطبيعي؛ مثلاً إذا كان السعر المتعارف لهذا الغلام عشرة آلاف دينار كان يقول: إنّي أبيع هذا الغلام بمئة ألف دينار.

كلّ مَنْ كان يسمع ذلك يضحك، إلى أن سأل إنسان عاقل سبب ارتفاع

---

(١) تفسير الأمثل ١٧ / ١٣٢ - ١٣٤.

سعر الغلام.

قال المولى: إنّ ارتفاع سعر الغلام يرجع إلى أنّه يعرف طريقة العبودية جيداً.

قال الرجل: إذا كان كما تقول قيمته أكثر من ذلك؛ إنّي اشتري هذا الغلام بشرط أن تكون لديه هذه الصفة، وإذا لم تكن لديه هذه الصفة يحقّ لي فسخ المعاملة.

وخلاصة الأمر: دفع هذا الرجل المبلغ وهو مئة ألف دينار وأخذ الغلام للبيت، ومن أجل أن يعرف هل الغلام يعرف طريقة العبودية أم لا أمر بضربه بالسوط، ضربوه بالسياط، فكان الغلام لدى ضربه بالسوط لا يبكي ولا يتأوّه، ولا يسأل عن سبب ضربه بالسوط.

أمر الرجل بترك الغلام، ثمّ قال له: ألم تكن تشعر بالألم؟

قال: نعم.

قال: ألم تكن تعلم أنّك تُضرب بدون سبب؟

قال الغلام: نعم.

قال الرجل: إذاً لماذا لم تحتج على ذلك؟

قال الغلام: أنا عبد وأنت مولى، ولا يليق أن يسأل العبد عن سبب تصرّفات مولاه؛ فالعبد يجب أن يكون مطيعاً لمولاه مئة بالمئة، إذا أنعمت عليّ فأنا مطيع لك، وإذا ضربتني بالسوط أنا مطيع لك[1].

هذا هو معنى العبد، والعبودية منتهى الخضوع للمعبود.

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ٥٢٣ - ٥٢٤ «بتصرّف يسير في العبارة».

والمعبود الوحيد الذي له حقّ العبادة على الآخرين هو الذي بذل منتهى الأنعام والإكرام، وليس ذلك سوى الله سبحانه وتعالى.

ثمّ إنّ العبادة على أقسام؛ فمنها عبادة المحبيّن والملتذّين والعارفين إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تختلف باختلاف درجات القرب من المولى (عزّ وجلّ)؛ ومن هنا قسّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العبادة إلى أقسام ثلاثة، قال عليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عِبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عِبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عِبادة الأحرار»[1].

وللعبادة عدّة شروط مذكورة في محلّها، منها:

١ - النيّة الخالصة لله، فليس الهدف من العِبادة إرضاء الناس، أو بهدف الحصول على كسب دنيوي فيعبد الله قربة إلى الله.

٢ - حضور القلب، فبدون حضور القلب تعتبر العِبادة ناقصة، والطريق إلى إكمالها هو الإتيان بالنوافل كما أشارت إليه بعض الروايات الشريفة[2].

٣ - العِلم، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا خير في عِبادة لا فقه فيها»[3].

٤ - الصلاة على محمّد وآل محمّد، فقد ورد أنّ الدعاء محجوب حتّى

---

(١) نهج البلاغة ٤ / ٥٣.

(٢) وسائل الشيعة ٤ / ٥٣، باب عدد الفرائض اليومية، ح٢٢.

(٣) مشكاة الأنوار / ٢٤٢.

يصلّي العبد على محمّد وآل محمّد[1].

ومن هنا قال الشافعي:

يـــا أهـــلَ بيـــتِ رســـولِ اللهِ حُـــبكمُ فـــرضٌ مـــن اللهِ في القـــرآنِ أنزلـــهُ

كـــفاكمُ مـــن عـــظيمِ الـــقدرِ أنّكـــمُ مَـــنْ لم يصـــلِّ علـــيكم لا صـــلاة لـــهُ[2]

٥ - اليقين، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا عبادة إلاّ بيقين»[3].

فإذا جاء الإنسان بهذه الشرائط توقّع من الله (عزّ وجلّ) حينئذٍ الثمار المترتبة على العبادة، وأهم هذه الثمرات الفوز بالآخرة السعيدة المطمئنة، والحياة الأبدية إلى غير ذلك من ثمرات دنيوية وأُخروية.

وأعبد عبادِ الله الأنبياء والأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل.

وإذا أردنا أن نتعلّم العبادة وحقيقتها وكنهها فلا بدّ أن نراجع سيرة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم، والذين نشؤوا في بيوتهم وتربوا في كنفهم. كانوا يقضون الليل والنهار بالعبادة؛ أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالين لآيات القرآن، وأمّا النهار فصائمون، حلماء أبرار.

ومن هذه البيوت ومن هؤلاء الذين تغذّوا من ثدي الإمامة، وعاشوا في كنفها مسلم بن عقيل بن أبي طالب. كان في بيت طوعة، وقبيل الفجر جاءت إليه بماءٍ ليتوضأ به قائلةً: يا مولاي، ما رأيتك رقدت البارحة! - لأنّه قضى تلك

---

(١) الكافي ٢ / ٤٩١، باب الصلاة على النبيّ وآله عليهم السلام، ح١.

(٢) إعانة الطالبين ١ / ٢٠٠.

(٣) مستدرك الوسائل ١١ / ١٩٦، ح٨.

الليلة قائماً وقاعداً، راكعاً وساجداً يصلّي - فقال لها: اعلمي أنّي رقدت رقدة فرأيت في منامي عمّي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: «الوحى الوحى، العجل العجل». وما أظنّ إلاّ أنّه آخر أيامي من الدنيا.

فتوضأ وصلّى صلاة الفجر، وكان مشغولاً بدعائه إذ سمع وقع حوافر الخيول، وأصوات الرجال، فعرف أنّه قد أُتي إليه، فعجّل في دعائه، ثمّ لبس لامةَ حربه وقال: يا نفس، اخرجي إلى الموت الذي ليس له محيص.

فقالت المرأة: سيدي، أراك تتأهّب للموت!

قال: نعم، لا بدّ لي من الموت، وأنتِ قد أدّيتِ ما عليك من البرّ والإحسان، وأخذتِ نصيبكِ من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فاقتحموا عليه الدار، وهم ثلاثمئة، وقيل: سبعون فارساً وراجلاً، فخاف مسلم أن يحرقوا عليه الدار؛ فخرج وشدّ عليهم حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فحمل عليهم، وهو يقاتلهم ويقول:

هو الموتُ فاصنع ويكَ ما أنتَ صانعُ ... فأنتَ بكأسِ الموتِ لا شكّ جارعُ

فصبراً لأمرِ اللهِ جلَّ جلالُه ... فحكمُ قضاءِ اللهِ في الخلقِ واقعُ

حتّى قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً، وكان من قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيوت، وبعدما أكثر القتل فيهم طلب قائد الجيش محمّد بن الأشعث النجدة من عبيد الله بن زياد قائلاً: أدركني بالخيل والرجال.

فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أُمّك! وعدموك قومك! رجل واحد يقتل هذه المقتلة العظيمة، فكيف لو أرسلتك إلى مَنْ هو أشدّ بأساً؟! - يعني الحسين عليه السلام -.

فأرسل إليه ابن الأشعث يقول: تظنّ أنّك أرسلتني إلى بقّال من بقاقلة الكوفة، أو إلى جرمقان من جرامقة الحيرة؟ وإنّما وجّهتني إلى بطل همام، وشجاع ضرغام، من آل خير الأنام!

فأرسل إليه بالعساكر وقال: أعطه الأمان؛ فإنّك لا تقدر عليه إلاّ به.

وقد أُثخن مسلم بالجراح؛ لأنّهم احتوشوه من كلّ جانبٍ ومكان؛ ففرقة ترميه من أعالي السطوح بالنار والحجارة، وأُخرى بالسيوف، والثالثة بالرماح، ورابعة بالسهام، وكان قد اشتبك مسلم عليه السلام مع بكر بن حمران، فضربه بكر على فمّه الطاهر فقطع شفته العليا، فقال له ابن الأشعث: لك الآمان يا مُسلم، لا تقتل نفسك.

فقال: أيّ أمانٍ للغدرة الفجرة! وأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمتُ لا أُقتلُ إلاّ حُرّا ... وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نكرا

كلّ امرئٍ يوماً ملاقٍ شرّا ... أخافُ أن أُخدعَ أوغرّا

وكان قد أُثخن بالجراح حتّى عجز عن القتال، فأسند ظهره إلى جنب جدار، فضربوه بالسهام والأحجار، فقال: ما لكم ترمونني بالأحجار كما تُرمى الكفّار، وأنا من أهل بيت النبي المختار، ألا ترعونَ رسول الله في عترته؟!

قال ابن طاووس في اللهوف: وعند ذلك ضربه رجل من خلفه فخرَّ إلى الأرض،

فأخذ أسيراً[1]، وقيل: قد حفروا له حفيرة.

هذا وكانت طوعة واقفة وهي تخاطب القوم بلسان الحال:

(بحراني):

ظـــلّت تـــناديهم يـــهل كـــوفان ارحمـــوه هــذا ابــن اخــو الكــرار حيــدر لا تســحبوه

خـــلّوه يـــمشي بـــراحته گلـــبه شـــعبتوه خــافوا مــن الله مــا لكــم مــذهب ولا ديــن

صــاحت يــمسلم يا عظمهــا خجلــتي بيــك شـبيدي وانـه حرمـة وضـعيفة مگـدر أحميـك

لــو يــتركونك چــان أفــت گلــبي وداويــك إنچان اسلمت من كيدهم سلّم على احسين

گلّــها يــطوعه اليــوم مــا تحصــل ســلامه أُوصــيچ چــان ابــهل الــبلد طــبو يتامــه

گـــولي تـــره مـــسلم يـــبلّغكم ســـلامه واجـــرچ عـــلى الله والنـــبي ســـيّد الكـــونين

اركبوه على بغلة وأخذوه إلى ابن زياد، فجعل يبكي، فقال له عبيد بن العباس: إنّ مَنْ يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبكِ.

قال: واللهِ، ما لنفسي بكيت، ولكن أبكي لأهلي المقبلين، أبكي للحسين وآل الحسين عليهم السلام.

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف / ١٢٠.

(نعي مجاريد):

ويـــن الـــذي يوصـــل ابهـــل الحـــين لـــــرض المدينـــــة ويخـــبر احســـين

مـــسلم وحـــيد أُو مـــا لـــه امعـــين ودرات عليـــــه الگـــــوم صـــــوبين

چتفوه أُو ظلّ يدير بالعين

(نصاري):

يـــمسلم ريـــت لـــن هاشـــم زلمهـــا تجـــي اويخفـــج علـــى راســـك علمهـــا

لاچـــن حـــيف مـــا واحـــد علمهـــا وحيـــد أنـــت وغريـــب إدّيـــر العيـــون

* * *

فـإن كنـتِ لا تـدرين مـا المـوتُ فـانظري إلـــى هـــانئٍ في الســـوق وابـــن عقيـــلِ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس السادس

التوبة

المجلس السادس

التوبة

يـــا قـــتيلاً أصـــبحتْ دارُ الـــعُلا ... بـــعدهُ قـــفراً وربـــعُ الجُـــودِ مَحْـــلا

مـــا حـــسبنا أن نـــرى مِـــنَ بعـــده ... للـــتُّقى مـــغنىً ولـــلجودِ مـــحلاّ

لا خطـــت بعـــدكَ فـــرسانٌ ولا ... جـــرّدَ الشـــجعان يـــومَ الـــروعِ نصـــلا

مـــا نـــعتكَ الـــخلقُ لـــكن قـــد نعـــت ... فـــيكَ إحـــساناً ومـــعروفاً وبـــذلا

بأبـــي المـــقتول عـــطشاناً وفي ... كفّـــه بحـــر يـــروّي الخلـــق جمـــلا

بـــأبي الـــعاري ثـــلاثاً بـــالعرى ... ولـــقد كـــانَ لأهـــلِ الأرضِ ظـــلاّ

وإذا عاينـــتَ أهليـــه تـــرى ... نُوبـــاً فيـــها رزايـــا الخلـــقِ تُـــسلى

مـــن أســـيرٍ وســـدّتهُ البـــزلُ حلســـا ... وقتـــيلٍ وسّـــدتهُ الـــبيدُ رمـــلا

وبنفـــسي مَـــنْ غـــدت نادبـــةً ... جَـــدّها والدمـــعُ فـــي الخـــدِّ اســـتهلاّ

جـــدّ لـــو تنظـــرنا إذ قرّبـــوا ... نحـــونا للـــسير أنقـــاضاً وهـــزلا

لـــرأَت عـــيناكَ خـــطباً فـــادحاً ... جـــلَّ أنْ يـــلقى لـــهُ النـــاظرُ مـــثلا[1]

هذا لسان حال العقيلة زينب عليها السلام مع جدّها الرسول صلى الله عليه وآله ، أمّا لسان حال

---

(١) القصيدة للحاج هاشم الكعبي رحمه الله، قال عنه في (أدب الطفّ ٦ / ٢١٨ - ٢١٩): الحاج هاشم ابن الحاج حردان الكعبي الدورقي. ولد ونشأ في (الدورق) - مسكن عشائر كعب في الأهواز - ثمّ سكن كربلاء والنجف، توفّي سنة ١٢٣١.

والكعبي نسبة إلى قبيلة كعب العربية التي تسكن الأهواز ونواحيها. من فحول الشعراء وفي طليعتهم، ونظم في رثاء أهل البيت عليهم السلام فأكثر وأبدع وأجاد، واحتجّ وبرهن، وأحسن وأتقن، وكلّ شعره من الطبقة الممتازة. تحفظ الخطباء شعره وترويه في مجالس العزاء، وتشنّف به الأسماع.

له ديوان أكثره في الأئمّة عليهم السلام ... وشعره يُعاد ويُكرر في محافل سيد الشهداء عليه السلام ، ويحفظه المئات من رجال المنبر الحسيني، وهو مقبول مستملح، بل نجد الكثير يطلب تلاوته وتكراره، وكأنّ عليه مسحة قبول.

وهذا ديوانه الذي يضمّ بين دفّتيه عشرين قصيدة حسينية أو أكثر، لقد طبع وأُعيدت طبعاته، والطلب يتزايد عليه. فهذه رائعته التي عدّد فيها مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام البطولية تهتزّ لها القلوب، وتدفع بالجبناء ليكونوا شجعاناً، وتنهض بهممهم ليصبحوا فرساناً، وهي تزيد على ١٥٠ بيتاً.

الموالين مع بعضهم البعض في مثل هذه الليلة فهو هكذا:

(بحراني):

إلـبس اثـياب الـسود وأهمـل دمعـة العـين هــل الــهلال الــبيه راح ابكربلــه احســين

هــل الــهلال وبــيه مــرتسمه الــحمره مــن دم أبــو الــسّجاد يــوم اكطعــوا نحــره

إگصــد الــماتم بــالبكى أوســاعد الزهــره أُوكــثّر يــهل ترجــه الشـفاعة اهنــاك الــونين

هــل يــوم يــحضر مــاتم الــمظلوم جــدّه يــسمع الــناعي لــو نعــه أُويــبچي الفگــده

ويصــيح آيــبني الــبگه مــعفور خــدّه فــوك الــتُراب وچبدتــه امــن العطـش نصّـين

يــحسين مــا تــبرد الجمــره ابصــب الــدموع لــيل ونهــار انحــب أُوگلــبي اعليــك موجــوع

يحســين خيــل الرضرضــت صــدرك والضــلوع رضّــت اضــلوعي ريــت دونــك باليــادين

* * *

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[1].

عرّف العلماء التوبة بأنّها الرجوع من الذنب القولي والفعلي، وهي ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها مستقبلاً، وتدارك ما سبق من التقصير، وهي ضدّ الإصرار[2].

وتورّط الإنسان في معصية الله تبارك وتعالى نوع من أنواع الضعف؛ لأنّ الذنب دليل الضعف والقصور. فمثلاً شخصان يعيشان في جو واحدٍ، من أب وأمّ واحدٍ، وبيتٍ واحدٍ، ولكنّ أحدهما يعاني من الضعف فيتورّط في المعصية؛ لأنّ إيمانه ضعيف، والآخر عنده مناعة اتجاه المعصية وإيمانه قوّي فلا يتورّط بها.

ومَنْ يذنب فإنّ له أحد موقفين؛ موقف الإصرار وتكرار الذنب، وموقف آخر هو موقف العودة والتوبة. قد يذنب الإنسان يوماً ولكنّه يعود وينتزع نفسه من مخالب المعصية؛ ومن هنا كان على الإنسان اتخاذ الموقف الثاني، وهو موقف العودة والتوبة والندم والاستغفار، وهكذا يصنع كلّما أذنب حتّى ولو تكرّرت منه المعصية، عليه أن يعود ويستغفر ويسأل الله تبارك وتعالى العون والمساعدة لأن يجتنب المعاصي.

---

(١) سورة التحريم / ٨.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ٢٦٨.

ومن هنا قال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله، إنّي أذنبت.

فقال: «استغفر الله».

فقال: إنّي أتوب ثمّ أعود.

فقال: «كلّما أذنبت استغفر الله».

فقال: إذن تكثر ذنوبي.

فقال: «عفو الله أكثر، فلا تزال تتوب حتّى يكون الشيطان هو المدحور»[1].

ولكن على الإنسان المؤمن أن لا يؤخّر التوبة؛ فإنّ تأخير التوبة اغترار كما روي[2] عن صادق العترة الطاهرة (صلواته الله عليهم أجمعين).

ثمّ لو تأمّلنا في الآية نجدها تأمر الذين آمنوا، حيث قالت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً...). فهل هذا الأمر محمول على وجوب التوبة، أم محمول على استحباب التوبة وندبها؟

الجواب: إنّ التوبة واجبة بالإجماع بين المسلمين، وهي واجبة؛ سواء كانت من الذنوب الكبائر، أم من الصغائر بلا فرق في ذلك.

وأحد الأدلّة على وجوبها هي هذه الآية، وآيات أخر أمرت بها، كقوله تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[3]، وقوله تبارك وتعالى

---

(١) وسائل الشيعة ١٦ / ٨١، باب تجديد التوبة، ح٥.

(٢) كنز الفوائد / ١٩٥.

(٣) سورة النور / ٣١.

أيضاً: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾[1].

هذا الدليل القرآني، وأمّا الدليل الروائي، فما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اعترفوا بنِعَمِ الله، وتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم...»[2].

وأمّا الدليل العقلي على وجوبها، فهو ما ذكر في عدّة كتب، منها الباب الحادي عشر، حيث قال الشارح: وهي - التوبة - واجبة لوجوب الندم إجماعاً على كلّ قبيح وإخلال بواجب...؛ لكونها دافعة للضرر، ودفع الضرر وإن كان مظنوناً واجب، فيندم على القبيح...[3].

وعليه فالإجماع مع الأدلّة الشرعية والعقلية قائم على وجوب التوبة[4].

ثمّ الآية قالت: (نصوحاً)، فما معنى نصوح؟

وردت هذه الكلمة في التفاسير وكانت مورد اهتمام عند المفسّرين، والذي كادوا أن يتفقوا عليه هو أنّ المراد من التوبة النصوح هو: التوبة بإخلاص.

وأمّا كيف أنّ الإنسان يحصل على التوبة النصوح؟ أي كيف يحقّق هذا الأمر، وهو التوبة النصوح؟ فهذا هو المهمّ، وهذا هو المطلوب.

---

(١) سورة هود / ٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٨ / ١٥٣.

(٣) شرح الباب الحادي عشر / ٩٣.

(٤) في رحاب التوبة / ٤١ - ٤٥.

ولعلّ ذلك يتحقّق بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أنّ قائلاً قال بحضرته عليه السلام: استغفر الله. فقال له: «ثكلتك أُمّك! أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ؛ أوّلها الندم على ما مضى، الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة، الرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت فتذيبه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينها لحم جديد، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله»[1].

فيتضح من خلال هذا الحديث الشريف الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام شرائط التوبة النصوح، فإذا حقّقها الإنسان بإخلاص فقد أدّى وأمتثل الأمر بوجوب التوبة النصوح وإلاّ فلا.

فهذه هي إذن شرائط التوبة النصوح.

أوّلها: الندم على ما مضى، «إلهي إن كان الندم على الذنب توبة فإنّي وعزّتك من النادمين»[2].

ثانيها: العزم على ترك العود إليه أبداً، بأن يتعهّد أن لا يعود إلى ما ارتكبه سابقاً.

وثالثها: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم، بأن لا يترك حقّاً من حقوق

---

(١) نهج البلاغة - قصار الحكم - الرقم ٤١٢.

(٢) الصحيفة السجّادية - مناجاة التائبين.

الناس عليه؛ سواء كانت مالية أو غيرها من غيبة أو غير ذلك، بأن يأتي يوم القيامة أملس ليس عليه تبعة للآخرين.

ورابعاً: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، من صلاة أو صوم أو حج إلى غير ذلك ممّا في ذمّتك.

وخامسها: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، بأن يسهر ليله ويضما في نهاره إلى أن يذيب ذلك اللحم الذي نشأ على لقمة الحرام.

وسادسها: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، بأنّ الإنسان المذنب كما استأنس بالمعصية وحلاوتها سابقاً يأتي الآن لأن يذيق الجسم والروح آلام الطاعات، بأن يتعب نفسه في العبادات والطاعات.

فإذا تمّت هذه الشرائط الست عندئذٍ يتمكّن الإنسان من أن يقول: استغفر الله، ويكون قد حقّق التوبة التي أرادها الله تبارك وتعالى.

فإذا حقّق الإنسان هذه الشرائط سوف يترتّب عليها ثمرات ونتائج مهمّة أشارت الآية المباركة إلى بعضها، وأشارت الآيات الأُخر إلى البعض الآخر، وهكذا الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أشارت إلى تلك الثمرات.

وأمّا الثمرات المترتّبة على التوبة النصوح في هذه الآية فهي:

الأوّل: تكفير السيئات، حيث قالت الآية: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ...) .

والثاني: دخول الجنات، حيث أشارت إليه الآية: (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) .

وهناك ثمرات ونتائج أشارت إليها بعض الآيات والروايات، منها: تبديل السيئات بالحسنات، أشارت إليه الآية المباركة: (إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)[1].

ومنها: حبّ الله لهم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّه يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)[2].

ومنها: نزول الرحمة على التائب، أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «التوبة تستنزل الرحمة»[3].

ومنها: طهارة القلب، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «التوبة تطهّر القلوب، وتغسل الذنوب»[4]، إلى غير ذلك من الثمرات الدنيوية والأخروية.

ولا فرق حينئذ بين أن يتوب الإنسان قبل سنة من حياته، وبين أن تظهر علامات الموت؛ لِما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ تاب إلى الله قبل موته بسنة تاب الله عليه»، ثمّ قال: «ألا وسنة كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بشهر تاب الله عليه»، وقال: «شهر كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بجمعة تاب الله عليه»، قال: «وجمعة كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بيوم تاب الله عليه»، قال: «ويوم كثير، مَنْ

---

(١) سورة الفرقان / ٧٠.

(٢) سورة البقرة / ٢٢٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ / ٤٣، ومستدرك الوسائل ١٢ / ١٢٩.

(٤) مستدرك الوسائل ١٢ / ١٢٩.

تاب إلى الله قبل موته بساعة تاب الله عليه»، ثمّ قال: «وساعة كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل أن يغرغر بالموت تاب الله عليه»[1].

المهم إنّ الإنسان يخلص في توبته إلى الله تبارك وتعالى، ويخرج من الدنيا وهو نادم على ما عمله من أعمال لم ترضِ الله تبارك وتعالى.

ومصداق التائب النادم قبل أن تغرغر روحه بالموت الحرّ بن يزيد الرياحي يوم جعجع بالحسين عليه السلام في ألف فارسٍ ليحبسه عن الرجوع، استقبلهم الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنّها معذرة إلى الله (عزّ وجلّ) وإليكم، وإنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم، وقدمِت بها عليَّ رسُلُكم أن أقدم علينا؛ فإنّه ليس لنا إمام، ولعلّ الله يجمعنا بك على الهدى. فإن كنتم على ذلك قد جئتكم فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم».

فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها!

فأمر الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان فأخرج خرجين مملؤين كتباً، وهي كُتب أهل الكوفة تشكو للحسين ظلم يزيد، ويدعونه للقدوم عليهم ليكون إمامهم.

ولم يقتنع الحرّ بكلّ هذا الكلام، وصمّم على قطع المسير على أبي عبد الله عليه السلام، إلى أن وصل يوم عاشوراء، ورأى أنّ القوم صمّموا على قتال الحسين عليه السلام، قال لعمر بن سعد: أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: أي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي.

فأخذ الحُر يقول: إنّي أُخيّر نفسي

---

(١) الكافي ٢ / ٤٤٠، ح٢، وفيه قبل أن يعاين الموت.

بين الجنّة والنار، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطّعت وحُرّقت. ثمّ ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام. وجاز على عسكر ابن سعد واضعاً يده على رأسه وهو يقول: اللّهمّ إليك أنبتُ فتب عليّ؛ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيّك.

ثمّ قال للحسين عليه السلام: جعلت فداك! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أن القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، وأنا تائب إلى الله ممّا صنعت، فهل ترى لي من توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: «نعم، يتوب الله عليك»[1].

وعندما رمى ابن سعد سهماً نحو مخيّم الحسين عليه السلام صاح: اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل مَنْ رمى. فرمى أصحابه كلّهم، فلم يبقَ من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلاّ أصابه سهمٌ من سهامهم.

فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: «قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه؛ فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم».

فقال له الحرّ: يابن رسول الله، كنت أوّل خارج عليك فأذن لي لأكون أوّل قتيل بين يديك، وأوّل مَنْ يصافح جدّك غداً[2].

فأذن له الحسين عليه السلام، فتقدّم وهو يقول:

إنّـــي أنا الحـــرّ ومـــأوى الضـــيفِ أضـــربُ فـــي أعنـــاقكم بالســـيفِ

عن خيرِ مَنْ حلَّ بأرضِ الخَيفِ

---

(١) انظر مثير الأحزان / ٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٥ / ١٣.

فقاتل قتالاً شديداً حتّى قتل أكثر منهم أربعين فارساً وراجلاً، وبعدما عَقر فرسه بقي يُقاتل راجلاً، فحملت عليه الرجّالة وتكاثروا عليه حتّى قتلوه، فاحتمله أصحابُ الحسين ووضعوه بين يديه، فجعل الحسين عليه السلام يمسح وجهه ويقول: «أنت الحرّ كما سمّتك أُمّك، وأنت الحرّ في الدنيا والآخرة»[1].

هـــوى أُوجـــاه أُووگـــف يـــمّه المشـــكّر وشـــافه اعلـــى الثـــره مرمـــي امعفّـــر

مســـح وجهـــه وگلـــه أنـــت صـــدگ حـــر ورد الـــــــمركزه والـــــــدمع منـــــــثور

لكن لو سألتني عن بُعد قبر الحرّ عن سائر الشهداء لأجبتك: إنّ السبب في ذلك أنّ الحرّ لم يُقطع رأسه مع أصحاب الحسين عليه السلام، بل حملته عشيرته عندما أمر ابن سعد بفصل الرؤوس عن الأجساد.

قامت بنو رياحٍ وقالت: والله، لا يُقطع رأسُ زعيمنا وأيدينا على قوائم سيوفنا.

فقال ابن سعد: احملوا جسد شيخكم. فحملته عشيرته ودفنوه في هذا المكان.

هذا وزينب واقفة وهي تنظر إلى الحرّ وقد حملته عشيرته، والحسين عليه السلام مُلقىً على وجه الأرض، وكأنّي بها تنادي: وا حسيناه! وا غريباه[2]!

---

(١) ثمرات الأعواد ١ / ١٨٤ - ١٨٨.

(٢) مجمع المصائب ١ / ١٢٥ - ١٢٧.

الـــــعشيره شـــــالته ابحـــــر الظهـــــيره الـــكل مـــنهم عليـــه شـــالته الغـــيره
بـــــس ظـــــلّوا الماعـــــدهم عشـــــيره ضـــحايه بالشـــمس مـــن غـــير تغســـيل
والله الـــــــعشيره اشـــــــلون تـــــــنفع مـــــنها الـــــيطيح اعـــــليه تـــــفزع
أوحـــــالاً عـــــلى الـــــروس ايتشـــــيّع وانـــــه اخـــــوتي ويـــــن المشعشـــــع
كـــــلّ مـــــنهم اعلـــــى الثـــــرى مـــــوزع جـــــسمه وچتـــــل حـــــتّى الرضـــــع

وبلا دفن خلوهم أجمع

(أبو ذيّة):

يـــــحادي لا تســـــج بالظعـــــن بيـــــداي دلـــيلي الفگـــد أبـــو الســـجّاد بيـــداي
ريّـــض خـــل اغســـل احســـين بيـــداي وادفـــــنه لا يـــــظل جســـــمه رميـــــه

* * *

لـــيس الغريـــبُ غريـــبَ الأهـــل والـــوطن بـــل الغريـــبُ غريـــب الغســـلِ والكفـــنِ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،
وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون
والعاقبة للمتقين.

المجلس السابع

القناعة

المجلس السابع

القناعة

راحـــــلٌ أنـــــتَ والليـــــالي نـــــزولُ ... ومـــــضرٌ بـــــكَ البقـــــاءُ الطويـــــلُ
لا شـــــجاعٌ يـــــبقى فيعتنـــــقُ الـــــ ... ـــــبيضَ ولا آمـــــلٌ ولا مـــــأمولُ
غـــــايةُ النـــــاسِ في الزمـــــانِ فنـــــاءٌ ... وكـــــذا غايـــــةُ الغصـــــونِ الـــــذبولُ
إنّـــــما المـــــرءُ للمنيـــــةِ مَخبـــــو ... ءٌ ولـــــلطعنِ تُـــــستَحَمُّ الـــــخيولُ
عـــــادةٌ لـــــلزمانِ في كـــــلّ يـــــوم ... تُـــــنتأى جـــــيرةٌ وتُبكـــــى طُلـــــولُ
كـــــلّ بـــــاكٍ يـــــبكى عليـــــهِ وإن ... طـــــالَ بقـــــاءٌ والثاكـــــلُ المثكـــــولُ
أيُّ يـــــومٍ أدمـــــى الـــــمدامعَ فيـــــه ... حـــــادثٌ أريـــــعٌ وخطـــــبٌ جليـــــلُ
يـــــومُ عاشـــــور الـــــذي لا أعـــــان الـــــ ... ـــــصحبُ فيـــــهِ ولا أجـــــارَ القبيـــــلُ
يابـــــنَ بنـــــتِ النـــــبيّ ضـــــيّعتِ العهـــــ ... ـــــدَ رجـــــالٌ والـــــحافظونَ قـــــليلُ
مـــــا أطـــــاعوا الـــــنبيّ فـــــيكَ وقـــــد ... مـــــالت بأرماحهـــــا إليـــــك الـــــذحولُ
أتـــــراني ألـــــذّ مـــــاءً ولـــــمّا ... يُـــــرْوَ مـــــن مهجـــــةِ الإمـــــامِ الغليـــــلُ
أتـــــراني أُعـــــيرُ وجهـــــي صـــــوناً ... وعلـــــى وجهـــــهِ تجـــــولُ الخُيـــــولُ[1]

* * *

---

(١) القصيدة للشريف الرضي رحمه الله، قال عنه في أدب الطفّ ٢ / ٢١٦ - ٢١٨: الشريف الرضي ذو الحسبين أبو الحسن محمّد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام.

ولد سنة ٣٥٩ هـ ببغداد، وتوفي سنة ٤٠٦ هـ في السادس من المحرّم، ودُفن بداره في بغداد، ثمّ نُقل إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

نظم الشعر في عهد الطفولة ولم يزد عمره على عشر سنين، فأجاد وحلّق وحاز قصب السبق بغير منازع.

قال عنه صاحب عمدة الطالب: كانت له هيبة وجلالة، وفيه ورع وعفّة، وتقشّف ومُراعاة للأهل والعشيرة. ولي نقابة الطالبيّين مراراً، وكانت له إمارة الحج والمظالم. كان يتولّى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثُمّ تولّى ذلك بعد أبيه مستقلاً، وحجَّ بالناس مرّات.

أمّا مكانته العلمية فهو أوحد علماء عصره، وقد قيل: إنّ الرضي أعلم الشعراء لولا المرتضى، والمرتضى أشعر العلماء لولا الرضي. وهذه مؤلّفاته تعطينا صورة جلية عن براعته، فهذا (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) كما يقول ابن جني: صنّف الرضي كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذّر وجود مثله، و(كتاب المجازات النبوية)، و(تلخيص البيان عن مجازات القرآن) وغيرها. وهو الذي جمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأسماه نهج البلاغة....

مـــــن ســـــحگت عليـــــه الخيـــــل طـــــــلعت زيـــــــنب تـــــــنادي
اويـــــــلي عـــــــليك يابـــــــن أُمّـــــــي ويـــــــــاروح الـــــــــنبي الهـــــــادي
بعـــــــد هـــــــاي المصـــــــيبة اشـــــــلون تبـــــــــرد جـــــــــمرة افـــــــــادي
عمـــــــت عيـــــــني يخويـــــــه حســـــــين عـــــــــسه ولا شـــــــــاهدت عيـــــــني

* * *

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ قنع من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل»[1].

القناعة: هي الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال وغيره من أمور الدنيا، وهي صفة فاضلة، وهي من أعظم الوسائل للوصول إلى السعادة الأبدية. والقنوع مرتاح البال، متفرّغٌ لأمر الدين للسلوك إلى طريق الآخرة[2].

فضل القناعة

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «خمسٌ منْ لم تكن فيه لم يتهنأ بالعيش: الصحة، والأمن، والغنى، والقناعة، والأنيس الموافق»[3].

قيل لبعض الحكماء: رأيت شيئاً أفضل من الذهب؟

قال: نعم، القناعة.

وإلى هذا ينظر قول بعض الحكماء: استغناؤك عن الشيء خيرٌ من استغنائِك به.

كان ديوجانس الكلبي من أساطين الحكماء اليونان، وكان متقشّفاً زاهداً لا يقني شيئاً ولا يأوي إلى منزل. دعاه الإسكندر إلى مجلسه، فقال للرسول: قل له: إنَّ الذي منعك من المسير إلينا هو الذي منعنا من المسير إليك؛ منعك اسغناؤك

---

(١) الكافي ٢ / ١٣٨ح٣.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ٣٧٩.

(٣) مشكاة الأنوار / ٢٦٠ - ٢٦١.

عنَّا بسُلطانك، ومنعني استغنائي عنك بقناعتي[1].

هذه هي القناعة، وضدّها الطمع، وقد عرفنا القناعة وفضلها، فلنعرف الآن الطمع ومساوئَه والممدوح منه.

أمّا الطمع: فهو تمنّي ما في أيدي الناس، وأن يعطوه ما عندهم، وهو من الرذائل المهلكة، وهو اشتهاء الشيء والرغبة فيه والحرص عليه[2].

إلاّ أنّه يُمدح الطمع في بعض الموارد، وهي:

١ - الطمع بعفو ورحمة الله عزَّ وجلَّ.

٢ - الطمع بنعيم الآخرة وسعادتها.

وأمّا مطلق الطمع فهو مذموم أشدَّ الذمّ، ويصل في بعض الأحيان إلى قتل الإنسان.

رُوي أنَّ المسيح عليه السلام خرج يوماً إلى البرّية ومعه ثلاثة من أصحابه، فلمّا توسّعوا في البرّية رأوا لبنة من ذهب مطروحة في الطريق، فقال عيسى عليه السلام: هذا الذي أَهلك من البرّية مَنْ كان قبلكم، إيّاكم ومحبّة هذا. فمضوا عنها، فما مضى ساعة حتّى قال واحد منهم: يا روح الله، ائذن لي في الرجوع إلى البلد فإنّي أَجدُ الأَلم. فأذن له، فأتى إلى اللبنة ليأخذها فجلس عندها.

فقال الثاني: يا روحَ الله، ائذن لي في الرجوع. فأذن له، وكذلك الثالث، فاجتمعوا عند تلك اللبنة ليأخذوها، فقالوا: نحنُ جياع، فليمضِ واحد منّا إلى البلد ليشتري لنا طعاماً

---

(١) سفينة البحار ٧ / ٣٧٥.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ٣٧٧.

حتّى ندخل البلد، فمضى واحد فأتى إلى السوق واشترى طعاماً، فقال في نفسه: إنّي أجعل فوقه سُمّاً فيأكلان فيموتان، فتبقى تلك اللبنة لي وحدي. فوضع في الطعام سُمّاً.

وأمّا الآخران فتعاقدا على أن يقتلاه ويأخذا اللبنة، فلمّا جاء بالطعام بادرا إليه وقتلاه، وجلسا يأكلان الطعام، فما أكلا قليلاً حتّى ماتا، فصاروا كلّهم أمواتاً حول تلك اللبنة، فلمّا رجع عيسى عليه السلام مرّ على تلك اللبنة، فرأى أصحابه أمواتاً، فعلم أن تلك اللبنة هي التي قتلتهم، فدعى الله فأحياهم لأجله، فقال لهم: أمّا قُلتُ لكم: إنَّ هذا هو الذي أهلك مَنْ كان قبلكم! فتركوا اللبنة ومضوا[1].

من نتائج القناعة

١ - العزّ

عن الإمام علي عليه السلام: «ثمرة القناعة العزّ»[2].

٢ - الاكتفاء والرضا بما عنده.

٣ - صلاح النفس

عن الإمام علي عليه السلام: «أعون شيءٍ على صلاح النفس القناعة»[3].

٤ - القناعة راحة: عن الإمام الحسين عليه السلام: «القُنوع راحة الأبدان»[4].

---

(١) زهر الربيع / ٤٠٦.

(٢) عيون الحكم والمواعظ / ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه / ١١٢.

(٤) بحار الأنوار ٧٥ / ٢٨، باب وصايا الحسين عليه السلام.

٥ - حساب يسير يوم القيامة.

من قصص القناعة

عن أبي بصير قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أرسل عثمان إلى أبي ذرّ (رضي الله عنه) موليين له ومعهما مئتا دينار، فقال لهما: انطلقا إلى أبي ذرّ فقولا له: إنَّ عثمان يُقرئك السّلام، ويقول لك هذه مئتا دينار فاستعن بها على ما نابك.

فقال أبو ذرّ: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟

قالا: لا.

قال: إنّما أنا رجلٌ من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين.

قالا له: إنّه يقول: هذا من صُلب مالي، وبالله الذي لا إله إلّا هو ما خالطها حرام، ولا بعث بها إليك إلاّ من حلال.

فقال: لا حاجة لي فيها وقد أصبحتُ يومي هذا وأنا من أغنى الناس.

فقالا له: عافاك الله وأصلحك! ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً ممّا يتمتع به.

فقال: بلى، تحت هذا الأكاف الذي ترون رغيفا شعيرٍ قد أتى عليهما أيّام، فما أصنع بهذه الدنانير؟ لا والله حتّى يعلم الله أنّي لا أقدر على قليلٍ ولا كثيرٍ وقد أصبحتُ غنيّاً بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وعترته الهادين المهديين، الراضين المرضيين، الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون. وكذلك سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: فإنَّه لقبيحٌ بالشيخ أن يكون كذّاباً.

فردّاها عليه واعلماه أنّي لا حاجة لي فيها ولا فيما عنده حتّى ألقى الله ربّي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه»[1].

وروي أيضاً أنّهما قالا لأبي ذر: إن أنت أخذتها أعتقنا عثمان.

فقال أبو ذرّ لهما: أعتقكما عثمان واسترقّني.

فهكذا تعلّم وتربّى أبو ذرّ الغفاري من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن لا يكون عبداً مسترقّاً وإن كلّفه ذلك أن يموت وحيداً

---

(١) بحار الأنوار ٢٢ / ٣٩٨، ح٥.

وغريباً، وكذا تربى وعاش أبو الفضل عليه السلام بأن لا يكون مسترقّاً؛ فقد تعلّم الصرخة الحسينية: هيهات منّا الذلّة! ولذا ترى أنّه عليه السلام لما جاء إليه الشمر (لعنه الله) ومعه كتاب من ابن زياد فيه الأمان للعباس وإخوته، بحيث لو رضي به العباس وإخوته لحصل الشمر على جائزة من عبيد الله بن زياد (لعنه الله).

فصاح الشمر: أين العباس وإخوته؟

وكان العباس وقتئذٍ جالساً بين يدي الحسين عليه السلام، فأطرق برأسه حياءً من الحسين، فصاح الشمر ثانياً وثالثاً، فالتفت الحسين عليه السلام إلى أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام قائلاً: «أجبه يا أخي ولو كان فاسقاً».

ركب أبو الفضل عليه السلام جواده وأتى نحو الشمر، قال: ما تريد يابن ذي الجوشن؟

فقال: يا أبا الفضل، هذا كتاب من ابن زياد يذكر فيه بأنّك أنت الأمير على هذا الجيش، وأنت وإخوتك آمنون فلا تعرّض نفسك للقتل.

فقال له العباس عليه السلام: لعنك الله ولعن آمانك! أتُؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟ ويلك! أفبلموت تخوّفني وأنا المميت خواض المنايا؟ أأَترك مَنْ خلقني الله لأجله وأدخل في طاعة اللعين وأولاد اللعناء؟![1]

نعم، كيف يترك إمام زمانه وسيّده ومولاه؟

ولذا نرى سيد الشهداء عليه السلام قد وفى بذلك عندما وقع أخوه أبو الفضل عليه السلام ونادى: أخي يا حسين! أدرك أخاك.

---

(١) انظر الإرشاد ٢ / ٨٩، تاريخ الطبري ٤ / ٣١٥، بحار الأنوار ٤٤ / ٣٩١.

أقبل أبو عبد الله عليه السلام نحو مصرعه، كشف الأعداء عن جسد أبي الفضل العباس عليه السلام.

يقول حميد بن مسلم: لما وصل بالقرب من العباس طأطأ رأسه إلى التراب وحمل شيئاً وقبّله، نظرنا وإذا هي يمين العبّاس، بعد ذلك طأطأ رأسه مرّة ثانية وحمل شيئاً آخر وقبّله وإذا هي شمال العباس عليه السلام، بعد ذلك أخذ شيئاً آخر وقبّله، نظرنا وإذا بها عمامة العباس ملطخة بالدماء...

وصل إليه أخذ رأسه وضعه في حجره، أرجعه أبو الفضل وعفرّه بالتراب، أرجعه الحسين مرّةً ثانية إلى حجره، أرجعه العباس إلى التراب، وهكذا ثالثاً؛ فالتفت إليه الحسين عليه السلام قائلاً: «الوداع الأخير يابن والدي».

فقال العباس: أخي أبا عبد الله، يابن الزهراء، الآن أنت تأخذ برأسي تضعه في حجرك، ولكن روحي فداك أبا عبد الله! مِن بعدي مَنْ الذي يأخذ برأسك؟ مَنْ الذي يمسح الدم والتُراب عن وجهك؟

يـــخويه مَـــنْ يغمضـــلك اعيونـــك ... يـــا هـــو اليگـــف يـــحسين دونـــك
علـــه افراگـــي اشـــوف انخطـــف لونـــك ... وتـــضل بـــعدي يبـــو ســـكنه محـــيّر
يـــا عـــباس لـــمّنْ صـــدّت العـــين ... منّـــي لـــعد ايـــديك الاثـــنين
ودمـــهن يـــسيل اوشـــفت چفـــين ... فـــوگ الـــثرى نـــاديت صـــوتين
واحـــد نـــواعي اوواحـــد ونـــين ... يـــعباس صـــارت طيحتـــك ويـــن

يعبـــاس آنـــه اعضـــيدك احســـين مگـــدر علـــى أفراگـــك يلحنـــين

وسفه يفرگ بينّه البين

(أبو ذيّة):

چنـــت عـــوني ونـــه بالكـــون عونـــك گضـــيت اللـــي عليـــك اوفـــزت عونـــك

لچـــن يا هـــو مـــن اصـــيح يصـــيح عونـــك يـــخويه حـــسين بـــس آمـــر علـــيَّ

* * *

مـــا خلـــتُ بعـــدَك أن تُشـــلَّ ســـواعدي وتكـــفَّ باصـــرتي وظهـــريَ يُقصـــمُ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الثامن

صلة الرحم

المجلس الثامن

صلة الرحم

البـــــــدارَ البـــــــدارَ آلَ نـــــــزار ... قـــد فُـــنيتم مـــا بـــين بـــيضِ الشِّـــفارِ

ســـــوّموا الـــــخيلَ واطلقوهـــــا عِـــــراباً ... واتـــــركوها تـــــشقّ بـــــيد الـــــقفارِ

وابعـــــــثوها صوابـــــــحاً فـــــــأُميَّ ... وســـــمت أنـــــفَ مجـــــدِكم بالصـــــغارِ

لا تلـــــــد هاشـــــــميةٌ علـــــــوياً ... إن تركـــــــتم أُمـــــــيَّةٌ بقـــــــرارِ

أنـــــزارٌ نـــــضُّوا بـــــرودَ التهـــــاني ... فحســـــينٌ عـــــلى الـــــبسيطة عـــــاري

لا تـــــمدُّوا لـــــكم عـــــن الشـــــمس ظِـــــلاً ... إنَّ فـــــي الـــــشمسِ مهجـــــةَ المختـــــارِ

لا تـــــذوقوا المعـــــينَ واقضـــــوا ظمـــــايا ... بـــــعد ظـــــامٍ قـــــضى بحـــــدِّ الغِـــــرارِ

حـــــــقَّ أن لا تُـــــــكفّنوا هـــــــاشمياً ... بـــــعد مـــــا كفّـــــنَ الـــــحُسينَ الـــــذاري

لا تشـــــــقّوا لآلِ فـــــــهرٍ قـــــــبوراً ... فـــــابن طـــــه مُـــــلقىً بـــــلا إقـــــبارِ

طـــــأطيءُ وا الـــــرُّؤوسَ إنَّ رأسَ حُســـــينٍ ... رفـــــعوهُ فـــــوق القنـــــا الخطّـــــارِ[1]

فعندما رأت العقيلة زينب عليها السلام رؤوس إخوتها وأولادها وأولاد عمومتها على القنا تذكّرت عزّها، وتوجّهت نحو كافلها أبي الفضل العباس.

---

(١) القصيدة للشيخ عبد الحسين شكر رحمه الله، قال عنه السيّد جواد شبّر رحمه الله في أدب الطفّ: الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ أحمد بن شكر النجفي ابن الشيخ أحمد بن الحسن بن محمّد بن شكر الجباوي النجفي. توفي بطهران سنة ١٢٨٥، وكان والده الشيخ أحمد من العلماء المصنفين.

رثى أهل البيت عليهم السلام بقصائد كثيرة تزيد على الخمسين؛ منها روضة مرتبة على الحروف، وشعره يرويه رجال المنبر الحسيني في المحافل الحسينية. وقد تصدّى الخطيب الشهير الشيخ محمّد علي اليعقوبي لجمع ما نظمه الشاعر في أهل البيت عليهم السلام من القصائد والمقاطيع من مديح ورثاء فنشره في كراسة تناهز المئة صفحة.

وآل شكر أسرة قديمة من الأُسر العربية الشهيرة بالنجف، عُرفت باسم (شكر) أحد أجدادها الأقدمين، وأصلهم من عرب الحجاز. (أدب الطفّ ٧ / ١٨٧ - ١٨٨).

(بحراني):

صـــاحت دخـــيلك يالمگطّـــع بالشـــريعه جـــاها النـــده ردّي تـــرى إچفـــوفي گطيعـــه

للـــــخيم ردّي للـــــيتاما يالـــــوديعه تـــدرين بيـــه امگطّعـــه إيميـــني واليســـار

امـــطبّر ومـــن جـــوفي انزفـــت كـــلّ الـــدموم روحـــي العلـــي الأكـــبر يزينـــب بلچـــن يگـــوم

أيـــسّت مـــنه أوبـــاليتامى ردّت تحـــوم إتـــنخي أومـــن كثـــر النـــواخي گلبهـــا طـــار

* * *

صـــاحت صـــوت ياعبـــاس وينـــك گـــوم اوجـــرّد الماضـــي بيمينـــك

وخـــلها تصـــد واتشـــوف عينـــك آيا حمـــــــانا الـــــــفاگدينك

* * *

قال تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[1].

لقد دعا الإسلام إلى الألفة والمحبّة بين جميع الناس، وأوصاهم أن يتعارفوا ويتآلفوا، وأكد على ذلك وشدّد عليه في حقّ القرابة، المعبّر عنها بالرحم.

هذه الرحم قد أوصى الله بصلتها، ونهى عن قطيعتها، وحذّر الأرحام من التدابر والتقاطع.

وليس معنى ذلك أن تصبح القرابة صنماً يتحكّم بعواطف الناس وعقائدها، وتتحوّل الأرحام إلى آلهة تجرف في طريقها كلّ عدلٍ وحقٍّ، ويتحوّل على أساسها الباطل إلى حقٍّ والحقّ إلى باطلٍ، بل معناها أن يكون بين الأرحام تواصلٌ وتعاطف وتوادّ في الله ومن أجلِ الله، فتتحوّل هذه الصلة إلى طُهرٍ ونزاهة يجتمع فيها الأرحام على طاعةِ الله وتقواه، ولا يفصمها ولا يزلزها حادث عابر أو قضية تافهة؛ ومن هُنا كان للأرحام حقوق أشدّ وأقوى من حقوق سائر المسلمين يحسن بنا أن نمرّ عليها ونتدبّرها[2].

من بعد هذه المقدمة نرجع إلى الآية.

ابتدأت الآية المباركة الأمر بالتقوى، فقالت: ﴿واتقوا الله﴾؛ وذلك لأهمية التقوى ودورها في بناء قاعدة المجتمع الصالح، سبّبت في أن تذكر مجدّداً في نهاية الآية الحاضرة، وأن يدعو سُبحانه الناس إلى التزام التقوى،

---

(١) سورة النساء / ١.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ٨٤٧.

غاية الأمر أنّه تعالى أضاف إليها جملة أُخرى إذ قال:)ﭐاتَّقُواْ اللَّه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ(، بمعنى اتقوا الله الذي هو عندكم عظيم، وتذكرون اسمه عندما تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم.

إنَّ ذكر هذا الموضوع هنا يدلّ أوّلاً على الأهمية الفائقة التي يُعطيها القُرآن الكريم لمسألة الرحم، وتشجيعه القربى إلى درجة أنّه يذكر اسم الأرحام بعد ذكر اسم الله سُبحانه، وهو إشارة - ثانياً - إلى الأمر الذي ذُكر في مطلع الآية، وهو أنّكم جميعاً من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة، وهذا يعني - في الحقيقة - أنَّ جميع أبناء آدم أقرباء وأرحام، وهذا الارتباط والترابط يستوجبُ أن يتحابّ الجميع ويتوادّوا دون تفريقٍ أو تمييزٍ بين عنصرٍ وآخر، وقبيلة وأُخرى، تماماً كما يتحابّ أفراد القبيلة الواحدة[1].

مَنْ هم الأرحام؟

الأرحام: مفهومٌ يُعيّنه العرف، والقدر المتيقن منه الآباء والأبناء، والإخوة والأعمام والأخوال، وأولادهم المباشرون. وهؤلاء أمرنا الله بصلتهم وفرض علينا التعاون معهم، وكانت الوصية بالأرحام من الله لكي نحفظهم ونرعاهم.

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أوّل ناطقٍ من الجوارح يوم القيامة الرحم، تقول: يا رب، مَنْ وصلني في الدُنيا فصل اليوم ما بينك وبينه، ومَنْ قطعني في الدنيا

---

(١) تفسير الأمثل ٣ / ٨١ - ٨٢.

فأقطع اليوم ما بينك وبينه»[1].

آثار قطيعة الرحم

وإنَّ من الذنوب الكبيرة، والجرائم العظيمة أن يقطع الإنسان رحمه، وينصبه العداء، ويقف في وجهه شاهراً لسانه، مُعلناً غضبه... إنَّ قطيعة الرحم من الكبائر، وهي لا تجوز في قاموس المسلمين وإن كُنّا نجد هذه الظاهرة ولو بدرجة خفيفة.

وقد يترتّب على قطع الرحم آثار سيئة، وعُقوبة جسيمة، وعذاب من الله شديد، وهذه بعض آثار قطيعة الرحم:

١ - إنَّ أهم أثر لقطيعة الرحم أنَّها تُدخل النار، وتُغضب العزيز الجبّار؛ فإنَّ الله أوعد بعذاب أليمٍ لمنْ قطع رحمه.

عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أخبرني جبرائيل أنّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام، ما يجدها عاقٍ، ولا قاطعُ رحم، ولا شيخٌ زانٍ»[2].

٢ - من آثار قطيعة الرحم أن تتحول الأموال إلى أيدي الأشرار، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قُطعت الأرحام جُعلت الأموال في أيدي الأشرار»[3].

٣ - قطيعة الرحم من الذنوب التي تُعجّل الفناء؛ ففي خطبة

---

(١) الكافي ٢ / ١٥١، ح٨.

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٣٤٩، ح٦.

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٨، ح٧.

لأمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أعوذ بالله من الذنوب التي تُعجّل الفناء».

فقام إليه عبد الله بن الكوّاء اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أو يكون ذنوب تُعجّل الفناء؟

فقال: «نعم، ويلك! قطيعة الرحم»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الذنوب التي تُعجّل الفناء قطيعة الرحم»[٢].

٤ - قطيعة الرحم سببٌ لحلول النقم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «حلول النقم في قطيعة الرحم»[٣].

٥ - قاطع الرحم لا تنزل عليه الرحمة، ولا على الذين معه، كما ورد مرويّاً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنَّ الرحمة لا تنزل على قومٍ فيهم قاطع رحم»[٤].

٦ - قاطع الرحم لا تنزل عليه الملائكة، ولا على القوم الذي هو فيهم، كما ورد بنفس المضمون المتقدّم: «إنّ الملائكة لا تنزل على قومٍ فيهم قاطع رحم»[٥].

٧ـ تعجيل العقوبة الدنيوية، فعن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ما من ذنبٍ أجدر من أن يُعجّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدُنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب»[٦].

---

(١) الكافي / ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) علل الشرائع ٢ / ٥٨٤، ح٢٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ / ٢٣٤.

(٤) مستدر الوسائل ٩ / ١٠٧، ح٢.

(٥) مجمع الزوائد ٨ / ١٥١.

(٦) المصدر نفسه.

هذا كلّه في الآثار السلبية لقطيعة الرحم، وكذا توجد آثار ايجابية كثيرة وعظيمة جدير بكُلّ إنسانٍ عاقل أن يتدبّرها ويكتبها، ويبحث عنها ويوفّرها لنفسه؛ فإنَّها في متناول يده وتحت سُلطانه، ولا يستطيع أن يأتي بالمعاذير فإنَّها غير مقبولةٍ على الإطلاق، وهذه الآثار الإيجابية.

آثار صلة الرحم

١ - طاعة الله عزّ وجلَّ، وامتثالاً لأمره، وهذا المعنى هو غاية مطمح أنظار المؤمنين؛ فإنَّهم باستمرار يبحثون عن رضاه، ويكون ذلك من أهم عوامل إدخال السرور عليهم، والراحة لنفوسهم.

٢ - صلة الرحم تزيد في العُمر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً أحد أصحابه واسمه نوف: «يا نوف، صل رحمك يزيدُ الله عُمُرك»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام [أنّه قال]: «إنَّ الرجُل ليصل رحمه وقد بقي من عُمُره ثلاث سنين فيُصيّرها الله عزَّ وجلَّ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عُمُره ثلاثون سنة فيُصيّرها الله ثلاث سنين، ثمّ تلا: (يَمْحُو اللَّه مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»)[٢].

٣ - صلة الرحم تهوّن سكراتِ الموت، وكذا شدائده، وتقي من ميتة السوء، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أحبَّ أن يخفّف الله عزَّ وجلَّ عنه سكرات الموت فليكن لقرابته وصولاً، وبوالديه بارّاً، فإذا كان كذلك هوّن الله عليه سكرات الموت، ولم يُصبه في حياته فقرٌ أبداً».

وعن إمامنا الهادي عليه السلام - فيما كلّم الله تعالى به موسى عليه السلام -: «قال موسى: [إلهي]، فما جزاءُ مَنْ وصل رحمه؟

قال: يا موسى، أنسأ له أجله، وأهوّن عليه سكرات

---

(١) أمالي الصدوق / ٢٧٧، ح٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٧ / ١٦٣، ح١، والآية ٣٩ من سورة الرعد.

الموت»[١].

وعن النبيّ الأكرم ﷺ : «صلة الرحم تهوّن الحساب، وتقي ميتة السُّوء»[٢].

٤ - صلة الرحم تنفي الفقر وتجلب الخير، كما روي عن النبي الأكرم ﷺ : «صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر»[٣].

٥ - صلة الرحم تزيد في الرزق، فعن الإمام الحُسين عليه السلام أنّه قال: «مَنْ سرّه أن يبسط الله له في رزقه، ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه»[٤].

وغيرها من الآثار المخفية على عامة الناس.

أقلّ ما يتحقق به صلة الرحم

ثمّ إنّه لو أعوز الإنسان المال ولم يسعفه ذات يده أن يبسطها إلى أرحامه، ويمدّهم بما أعطاه الله من فضله، فلا يبخل عليهم بما تقدر عليه من زيارةٍ لهم، أو التردّد عليهم، ولا أقل من السّلام عليهم؛ فإنَّ صلتهم بهذا المقدار القليل يُطيّبُ قلوبهم، ويرقّق مشاعرهم، ويزرع الحبَّ والثقة في نفوسهم.

---

(١) أمالي الصدوق / ٤٣٢، ح٢٤.

(٢) المصدر نفسه / ٢٧٦، ح١.

(٣) أمالي الطوسي / ٤٨١، ح١٨.

(٤) قرب الإسناد / ٧٦، ح٢٤٤.

(٥) الخصال / ٣٢، ح١١٢.

وهذا المقدار ينمو ويربو ويُعطي أفضل الثمار، فعن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «صلوا أرحامكم ولو بالسّلام»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، إنَّ الله يقول: (اتَّقُوا اللَّه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)»[2].

أفضل صلة الرحم

وأفضل صلة الرحم وأعظمها إذا كان الرحم قاطعاً لها؛ فإنَّ صلتها حينئذٍ تكون خالصةً لوجه الله صافية من جميع شوائب الرياء والتعصّب للأهل والأقارب؛ فإنَّ في حالة الرضا والوفاق تتدخّل المصالح والمنافع والقرابة، ولكن إذا كان رحمك قاطعاً لك تستطيع أن تصله، وبعملك هذا تخرجُه عن عدائه لتضمّه إلى جانبك في حُبٍّ ورضا، بل الإسلام يفرضُ عليك عدم مقاطعة أرحامك وإن كادوك ونصبوا لك العداوة وحاولوا الإضرار بك.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّ رجُلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أهل بيتي أبوا إلاّ توثّباً عليَّ وقطيعةً لي، فأرفضهم؟

فقال: «إذاً، يرفضكم الله جميعاً».

قال: فكيف أصنع؟

---

(١) تحف العقول / ٥٧.

(٢) الكافي ٢ / ١٥٥، ح٢٢، والآية ١ من سورة النساء.

قال: «تصل مَنْ قطعك، وتُعطي مَنْ حرمك، وتعفو عمّنْ ظلمك؛ فإنَّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عزَّ وجلّ ظهير»[1].

ومن هُنا كان الرحم الكاشح، وهو المعادي، هو المصداق الأفضل للصدقة وللوصل، لعله يرّق قلبه؛ ولذا ترى سيد الشهداء عليه السلام يأمر أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام أن يجيبَ الشمر وهو عدو الله، قال له: «أخي يا أبا الفضل، أجبه وإن كان فاسقاً».

ولكنّ الشمر صاح بأعلى صوته بعد ما وعظهم أبو الفضل العبّاس عليه السلام: يابن أبي تراب، لو كان وجه الأرض كلّه ماءً وهو تحت أيدينا لما أسقيناكم منه قطرة.

فرجع العباس إلى أخيه يخبره بجواب القوم، فسمع الأطفال يتصارخون ويُنادون: العطش العطش!

أوتشـــتكي العطـــشَ الفـــواطمُ عنـــده وبصـــدر صـــعدته الفُـــرات المفعـــمُ

فركب جواده ومعه اللواء، وأخذ القربة وقصد الفُرات، فأحاط به أربعة آلاف ممّن كانوا موكّلين بالفُرات، ورموه بالنبال، فكشفهم وقتل منهم جماعة.

وثنـــى أبـــو الفضـــلِ الفـــوارسَ نكصّـــاً فـــرأوا أشـــدَّ ثبـــاتهم أن يُهزمـــوا

مـــا كـــرّ ذو بـــأسٍ لـــه مـــتقدماً إلاّ وفـــرَّ ورأســـه الـــمتقدمُ

حتّى وصل إلى المشرعة، ركز لواءه ونزل إلى الماء، فلّما أحس ببرد الماء - وقد كظّه العطش - اغترف غرفةً ليشرب، لكنّه تذكّر عطش الحسين عليه السلام،

---

(١) الكافي ٢ / ١٥٠، ح٢.

فرمى الماء من يده وقال: لا والله، لا أشربُ وأخي الحُسين عطشان. ثمّ جعل يقول:

يا نفسُ من بعدِ الحُسين هوني وبَعدَهُ لا كنتِ أن تكوني

هذا حسينٌ واردُ المنونِ وتشربينَ باردَ المَعينِ

* * *

غرف غرفه ابيمينه اوراد يشرب وگلبه امن العطش نيران يلهب

ذكر چبدة عضيده والدمع صب ذبّه أوعليّ گال الماي يحرم

اشلون اشرب وَرد ريّان عنك وخوي احسين ورده انمنع منك

ينهر العلگمي عگبه عسنّك وردك لا هنه ويصير علگم

اشلون اشرب وخوي احسين عطشان وسكنه والحرم واطفال رضعان

واظن گلب العليل التهب نيران يريت الماي بعده لا حله أومر

فهذا موقف أبي الفضل العباس عليه السلام لأخيه أبي عبد الله الحُسين عليه السلام، وأما موقف أبي عبد الله عندما رآه على نهر العلقمي نادى: الآن انكسر ظهري.

(فايزي):

ظهـري انكسـر خويـه وانتـه اللـي كسـرته ... مـاني اخـوك اشـلون اخـوك اليـوم عفتـه

إنـته التجيـب المـاي وانتـه الكافـل انتـه ... اتـخلّي العقيلـة بـلا ولي بـين آل أُميّـه

اشـلون أردّن لـلخيم والـخيم ظلمـه ... عـبّاس خـويه نومتـك علگـاع هظمـه

مـا بـين طـفل اليرتجيـك وبـين حرمـه ... كـلسا تگـول إسـا يجيـب المـاي ليّـه[1]

* * *

عبـاسُ تسـمعُ زينبـاً تـدعوك مَـنْ ... لي ياحمـاي إذا العـدى نهـروني

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

---

(١) مجمع المصائب ١ / ١٣٧ - ١٤٢.

المجلس التاسع

الإيثار

المجلس التاسع

الإيثار

حـــامي الظعينـــة أيـــنَ منـــهُ ربيعـــةٌ ... أم أيـــنَ مـــن عـــليا أبيـــهِ مكـــدّمُ

مـــا راعـــهم إلاّ تـــقحّمُ ضـــيغمٍ ... غـــضبان يـــعجمُ لـــفظهُ ويُدمـــدمُ

صـــبغَ الخيـــولَ برمحـــهِ حـــتّى عـــدت ... ســـيّانَ أشـــقرُ لـــونُها والأدهَـــمُ

عَـــرفَ المـــواعظَ لا تفيـــدُ بمعشـــرٍ ... صـــمّوا عـــن النبـــأ العظـــيمِ كمـــا عمُـــوا

فانصـــاع يحطِـــبُ بالجمـــاجمِ والكـــلا ... فـــالسيفُ يـــنثرُ والمثقّـــفُ يـــنظمُ

وهـــوى بـــجنبِ الـــعلقميّ فليتـــه ... لـــلشاربينَ بـــه يُـــدافُ الـــعلقمُ

ومَشـــى لمصـــرعِهِ الحســـينُ وطرفُـــه ... بـــين الـــخيامِ وبـــينهُ مـــتقسِّمُ

ألـــفاهُ مـــحجوبَ الـــجمالِ كأنّـــه ... بـــدرٌ بـــمنحطِمِ الـــوشيج مُلـــثّمُ

فـــأكبَّ مُـــنحنياً عـــليهِ ودمعُـــه ... صـــبغَ الـــبسيطَ كأنّمـــا هـــو عَنـــدَمُ

قـــد رامَ يـــلثمهُ فلـــم يـــرَ موضـــعاً ... لـــم يـــدمه عـــضُّ الســـلاح فيُلـــثمُ

نادى وقـــد مـــلأ البـــواديَ صـــيحةً ... صُـــمُّ الـــصخورِ لـــهولها تتـــألمُ

أأخـــيّ مَـــنْ يحمـــي بنـــاتَ محمّـــدٍ ... إن صُـــرنَ يســـترحمنَ مَـــنْ لا يـــرحمُ

هوّنـــت يابـــن أبي مصـــارعَ فتيـــتي ... والـــجُرحُ يـــسكنهُ الـــذي هـــو أألمُ

هـــذا حســـامُكَ مَـــنْ يـــذبُّ بـــهِ العـــدى ... ولـــواك هـــذا مَـــنْ بـــهِ يتقـــدّمُ

* * *

---

(١) القصيدة للسيد جعفر الحلي ﵀، انظر رياض المدح والرثاء / ٢٤٣، وقد تقدّمت ترجمته في المجلس الثاني.

نـــاده احـــسين يعبـــاس هـــذا لـــواك ظـــل ينـــدب ومهـــرك بالحـــرب ينعـــاك
انـــكسر ظهـــري ولا أگـــدر لفرگـــاك وافراگـــك يبـــو فاضـــل علـــيّ يصـــعب

* * *

يـــعباس حـــسّ احـــسين يمـــك يبچـــي وخلـــط دمعـــه بفـــيض دمّـــك
وحايـــر يـــبو فاضـــل إبـــلمك وســـكنه تـــسلّي الطفـــل باسمـــك
تگله ساعه ويجيب الماي عمّك

* * *

يـــخويه أيـــست ســـكنه مـــن المـــاي تـــجي يـــمي ذلـــيله وتوگـــف احـــذاي
يخويـــه مـــن العطـــش رادت تجـــي اوياي تگلـــك ويـــن وعـــدك يـــلمشكر

* * *

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّه وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

الإيثار: هو أرفع درجات الجود والسخاء، وهو أن يجود الإنسان بما لديه من مال أو نفس أو غيرهما ممّا هو نفيس، ويُقدّم غيره عليه.

روى الثعلبي - مفسّر أهل السنة المعروف - في تفسيره أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما أراد الهجرة إلى المدينة خلّف عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه، وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خروجه من الدار - وقد أحاط المشركون بالدار - أن ينام على فراشه، وقال له: «اتّشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي، وإنّه لا يصل منهم إليك مكروهٌ إن شاء الله تعالى».

ففعل ذلك عليّ عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: «إنّي آخيتُ بينكما، وجعلت عُمرَ أحدِكما أطول من الآخر، فأيكُما يؤثرُ صاحبه بالحياة؟». فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: «أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؛ آخيت بينه وبين محمّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ انزلا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه».

فنزلا؛ فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل يُنادي: بخ بخ، مَنْ مثلك يا علي يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة؟

فأنزل الله على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي هذه الآية؛ ولهذا سمّيت هذه الليلة التاريخية بليلة المبيت.

---

(١) سورة البقرة / ٢٠٧.

ويقول أبو جعفر الإسكافي: إنّ حديث الفراش قد ثبت بالتواتر، فلا يجحده إلاّ مجنونٌ وغيرُ مخالط لأهلِ الملّة[1].

هذا نوع من أنواع الإيثار الذي يُعتبر من أهم أنواع الإيثار؛ لأنّه إيثار بأعزّ شيء وهو النفس، وكان صاحب هذا الإيثار أمير المؤمنين عليه السلام. والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وهناك نوع آخر من الإيثار، وهو ما أكّد عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعمل به الأنصار مع المهاجرين، وهو نوعٌ مهمّ لا تقلّ أهميّته عن سابقه حتّى نزلت فيهم آية، بل آيات في كيفية إيثارهم.

قال عزّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَو كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2].

يقول ابن عباس: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله بيّن للأنصار يوم الانتصار على يهود بني النضير، إذا كنتم ترومون المشاركة في حصة المهاجرين من الغنائم فشاطروهم بتقسيم أموالكم وبيوتكم، وإذا أردتم أن تبقى بيوتكم وأموالكم لكم فلا شيء لكم من هذه الغنائم.

فقال الأنصار: علامَ نتقاسم بيوتنا وأموالنا معهم؟ نقدّم المهاجرين علينا

---

(١) تفسير الأمثل ٢ / ٧٢ - ٧٣، عن تفسير الثعلبي.

(٢) سورة الحشر / ٩.

ولا نطمع بشيء من الغنائم. فنزلت هذه الآية تعظّم هذه الروح العالية[1]، حتّى روي عنهم أنّ الأنصاري الذي عنده زوجتان رفع يده عن إحداهما للآخر.

نعود للآية: فهي بالرغم من أنّها تتعلّق - كما ذكرنا آنفاً - بحادثة هجرة النبي ﷺ وتضحية الإمام علي عليه السلام ومبيته على فراش النبي، ولكن مفهومها ومحتواها الكلي - كما في سائر الآيات القرآنية - عام وشامل، وفي الحقيقة أنّها تقع في النقطة المقابلة للآيات السابقة التي تتحدّث عن المنافقين الذين يحاولون أن يحقّقوا لهم بين المجتمع عزّة وكرامة عن طريق النفاق، ويتظاهرون بالإيمان بأقوالهم، بينما أعمالهم ليس فيها سوى الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

أمّا هذه الطائفة الثانية فتعاملهم مع الله وحده، حيث يُقدّمون أرواحهم رخيصةً في سبيله، ولا يبغون سوى رضاه، ولا يطلبون عزّة ولا رفعةً إلاّ بالله. وبتضحيات هؤلاء يصلح أمر الدين والدنيا، ويستقيم شأن الحقّ والحقيقة، وتصفو حياة الإنسان، وتثمر شجرة الإسلام.

وممّا يُلفت النظر أنّ البائع هو الإنسان، والمشتري هو الله تعالى، والبضاعة هي النفس، وثمنها هو رضوان الله تعالى، في حين نرى في موارد أُخرى أنّ ثمن مثل هذه المعاملات هو الجنة الخالدة والنجاة من النار، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) تفسير الأمثل ١٨ / ١٩١.

اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)[1].

وعلى أيّة حال، فهذه الآية - ومع الالتفات إلى سبب النزول المذكور آنفاً - تقدّم أعظم الفضائل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وإن كانت فضائله قد جاوزت الحصر والعدّ، ولكن هذه الفضيلة كانت في صدر الإسلام من الوضوح بمكان بين المسلمين، بحيث دعت معاوية العدو اللدود للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يُرشي «سمرة بن جُندب» بأربعمئة ألف درهم؛ كي يروي حديثاً مختلقاً يثبت فيه فضيلة هذه الآية لعبد الرحمن بن ملجم، وقد اختلق هذا المنافق الجاني هذه الفرية[2]، ولكنّ أحداً لم يقبل منه حديثه المجعول.

وهناك نوع ثالث من الإيثار، وهو الإيثار بالطعام والشراب، وهو كسابقيه أعني الإيثار بالنفس والإيثار بالأموال وما يملكون. وكان من أبرز مصاديق هذا الإيثار، بل المعلّم لهذا الإيثار هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ولذا روى الثعلبي وغيرُه من المفسرين أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت لولديك نذراً.

فقال عليه السلام: «إن برأ ولديَّ ممّا بهما صمت ثلاثة أيام شكراً لله تعالى».

وقالت فاطمة عليها السلام مثل ذلك، وقالت جاريتها فضة: إن برأ سيّداي ممّا بهما صمت ثلاثة أيام شكراً لله تعالى (عزّ وجلّ).

فألبسا العافية، وليس عند

---

(١) سورة التوبة / ١١١.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٣.

آل محمّد ﷺ لا قليل ولا كثير، فأجّر علي عليه السلام نفسه ليلة إلى الصبح يسقي نخلاً بشيء من شعير، وأتى به إلى المنزل، فقسّمته فاطمة (عليها السلام) إلى ثلاثة؛ فطحنت ثلثاً وخبزت منه خمس أقراص لكلّ واحد منهم قرص.

وصلّى أميرُ المؤمنين عليه السلام صلاة المغرب مع رسول الله، ثمّ أتى المنزل فوضِع الطعام بين يديه، فجاء مسكين فوقف بالباب وقال: السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة.

فسمعه علي عليه السلام ، فقال: «أطعموه حصّتي». قالت فاطمة عليها السلام كذلك، والباقون كذلك، فأطعموه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلاّ الماء القراح.

فلمّا كان اليوم الثاني طحنت فاطمة عليها السلام ثلثاً آخر وخبزته، وأتى أمير المؤمنين عليه السلام من صلاة المغرب مع رسول الله ﷺ فوضِع الطعام بين يديه، فإذا بيتيم جاء ووقف على الباب، وقال: يتيم من أيتام المهاجرين، استشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة.

فسمعه عليٌّ وفاطمة عليهما السلام والباقون، فأطعموه ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلاّ الماء القراح.

فلمّا كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الثلث الباقي وطحنته وخبزته، وصلّى علي عليه السلام مع النبي صلاة المغرب، ثمّ أتى المنزل فوضِع الطعام بين يديه، فجاء أسير فوقف بالباب، وقال: السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد، تأسروننا ولا تطعموننا؟ أطعمونا أطعمكم الله من موائد الجنّة؛ فإنّي أسير محمّد ﷺ .

فسمعه علي عليه السلام فآثره وآثروه معه، فمكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا إلاّ الماء القراح.

فلمّا كان اليوم الرابع وقد وفوا بنذرهم أخذ علي عليه السلام

الحسن بيده اليمنى، والحسين بيده اليسرى، وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، فلمّا أبصر بهم النبي ﷺ قال: «يا أبا الحسن، ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم! انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة».

فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلّي، وقد لصقت بطنها بظهرها من شدّة الجوع، فلمّا رآها النبي ﷺ قال: «وا غوثاه! أهل بيت محمّد يموتون جوعاً!». فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: خذ يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك.

قال: «وما آخذ يا جبرائيل؟».

قال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ...﴾ إلى آخر السورة.

ومَنْ كان أكرم الناس كان أفضل الناس، فيكون هو الإمام دون غيره[1].

وقد جمع الإيثار بأنواعه المتقدّمة بالنفس وبالمال والطعام والشراب، جمع كلّ ذلك ابن أمير المؤمنين عليه السلام أبو الفضل العباس عليه السلام الذي كان يلازم الحسين عليه السلام مثل الخادم الملازم لسيده، ويتمنّى أن يقوم بخدمة للحسين عليه السلام.

يقول الشيخ الكاشي رحمه الله: كان أبو الفضل عليه السلام جالساً في مجلس فيه أمير المؤمنين عليه السلام، فعطش الحسين عليه السلام، فطلب من قنبر أن يأتيه بالماء، فقام العباس عليه السلام مسرعاً - وكان صبيّاً آنذاك - إلى أُمّه أُمّ البنين عليها السلام: أمّاه، إنّ أخي الحسين عطشان، وقد طلب الماء من قنبر، وأُحبّ أن أُوصل إليه الماء قبل قنبر.

قامت أُمّ البنين، ملأت ركوةً ووضعتها على رأس العباس عليه السلام، جاء العباس والإناء على رأسه، والماء يراق على كتفيه،

---

(١) كشف الغُمّة ١ / ٣٠٧ - ٣١٠ (باختصار)، نسبه إلى الثعلبي في تفسيره وغيره.

لما رآه أمير المؤمنين عليه السلام صاح: «إيهٍ يا عباس! هذا يوم تحمل الماء إلى أخيك فيُراق الماء على كتفيك، ويوم آخر تحمل الماء إلى أخيك فيُراق مخّ رأسك على كتفيك»[1].

نعم، تناثر مخّ رأسه على كتفيه على أثر ذلك العمود؛ لأنّ العبّاس عليه السلام وقف متحيّراً لا يدري ما يصنع؛ يده اليمنى مقطوعة، ويده اليسرى مقطوعة، الماء أُريق على وجه الأرض؛ ولذلك لحظات حرجة مرّت على العباس عليه السلام لا يدري ما يفعل؟

يستمر في سيره نحو الخيام؟ كيف يواجه سُكينة وهي واقفة بانتظاره وقد واعدها بالماء، والماء قد أُريق؟ يُقاتل؟ كيف يقاتل وقد قُطعت يداه؟! بينما هو في تلك الحال جاء لعين من القوم قال له: يا عباس، أين شجاعتك؟ أين بسالتك؟

فقال له العباس عليه السلام: يا هذا، جئتني الآن ويداي مقطوعتان!

فقال له اللعين: يا عباس، إن كانت يداك مقطوعتين فيداي سالمتان.

آجركم الله، ضربه بعمود من حديد على أمّ رأس ففلق هامته، ووقع من على ظهر فرسه منادياً: أخي يا أبا عبد الله! أدركني.

أيّس وكف عاف العمر من ساسه رايد مماته ولا غدر نوماسه

---

(١) الطريق إلى منبر الحسين (عليه السلام) / ١٨٩ - ١٩٠.

ضـــــربوا ابـــــعامود الـــــضغاين راســـــه طـــــاح ونـــــخه ســـــيد شـــــباب الجنّـــــه
حـــــين الوصـــــل لحســـــين صـــــوت اعميـــــده جـــــاه وگـــــف عـــــنده ونـــــده لـــــعضيده
عـــــباس عگبـــــك لـــــلعُمر مـــــا ريـــــده شـــــيفيدني ومِـــــنّك گطـــــعت الـــــظنّه
ســـــمع حـــــسه الحســـــين وركـــــب وارزم وعـــدى اعلـــه الخيـــل وطلعهـــا امـــن المخـــيّم
ردّ يـــــمّه أويـــــلي وشـــــافه ســـــابح ابـــــدم تـــــخوصر فـــــوگ راســـــه والـــــدمع خـــــر

لما صُرع العباس عليه السلام صار الحسين عليه السلام بين محذورين:

أولاً: نداء العباس؛ أخي يا أبا عبد الله! أدركني.

ثانياً: الجيش زحف على مخيّم الحسين عليه السلام؛ لأنّه بمجرّد أن سقط العباس عليه السلام زحف جيش العدو إلى مخيّم الحسين عليه السلام، كأنّهم استضعفوا جانب الحسين بمصرع أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

فصار بين محذورين؛ أيدفع الجيش عن المخيّم، أم يلبّي نداء العباس؟!

لكن أخيراً رأى دفع العدو عن الخيام أولى، فحمل على الجيش وأبعدهم، وهو يقول: «إلى أين تفرّون وقد قتلتم أخي؟!».

ولما أبعد الجيش عن الخيام توجّه نحو مصرع أبي الفضل العباس عليه السلام، أراد الحسين عليه السلام حمله، ولكن العباس أبى، وهذا

الإيثار الثاني؛ الأول كان في شرب الماء قبل الحسين عندما ملك المشرعة، والثاني أنّه كلمّا أراد الحسين حمل أبي الفضل أو وضع رأسه في حجره لم يرضَ أبو الفضل، قال له الحسين عليه السلام: «أخي يا أبا الفضل، ما لي كلّما جعلت رأسك في حجري أخذته ومرّغته في الأرض؟!».

قال أبو الفضل عليه السلام: أخي، إن أخذت رأسي وجعلته في حجرك، فمَنْ الذي يجعل رأسك في حجره؟ لا حظوا الإيثار، الله أكبر.

صـــاح احســـين يا خويـــه يا عبـــاس يا نـــور العـــين يا تاجـــي العلـــه الـــراس
خويـــه أنـــت الـــدرع والســـيف والطـــاس اشـــلون اتـــروح وانا ابگـــى امحـــيّر

جواب أبي الفضل العباس عليه السلام بلسان الحال:

يگلـــه احســـين يا زهـــرة اخيـــامي يـــا خويـــه نحّلـــت ســـكنه عظـــامي
درخصـــني أُريـــد الحـــگ عمـــامي أُريـــد الـــثار گلـــبي دمـــه ايفـــوّر

وكأنّي بأخته العقيلة عليها السلام تناديه:

يـــعبّاس يـــا نـــور الـــعيون رحـــت عنـــك ســـبيّه ويّـــه الظعـــون
والـــلي ســـبونه مـــا يرحمـــون طـــول الـــدرب بينـــه يضـــربون
وســـياطهم تعلـــب علـــى امتـــون خـــواتك يبـــو الغـــيره يمزيـــون

* * *

أو تشـــتكي العطـــشَ الفـــواطمُ عنـــده وبصـــدرِ صـــعدتهِ الفُـــراتُ المفعـــمُ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس العاشر

الرحمة

المجلس العاشر

الرحمة

طـــمعتْ أن تســـومهُ القـــومُ ضـــيماً ... وأبـــى اللهُ والحـــسامُ الـــصنيعُ

كـــيفَ يـــلوي علـــى الدنيـــةِ جيـــداً ... لـــسوى اللهِ مـــا لـــواهُ الـــخضوعُ

فـــأبى أن يـــعيشَ إلاّ عـــزيزاً ... أو تـــجلّى الـــكفاحُ وهـــو صـــريعُ

زوّجَ الـــسيفَ بـــالنفوسِ ولكـــن ... مهرُهـــا المـــوتُ والخضـــابُ النجيـــعُ

بـــأبي كـــالئاً علـــى الطـــفّ خِـــدراً ... هـــو في شـــفرةِ الـــحُسامِ منيـــعُ

قـــطعوا بـــعدهُ عُـــراهُ ويا حبـــ ... ـــل وريـــدِ الإســـلامِ أنـــتَ القطيـــعُ

قـــوّضي يـــا خيـــامُ عليـــا نـــزارٍ ... فـــلقد قـــوّضَ الـــعمادُ الـــرفيعُ

وامـــلأي الـــعينَ يـــا أُميـــةَ نومـــاً ... فـــحسينٌ عـــلى الصـــعيدِ صـــريعُ

وســـروا في كـــرائمِ الـــوحي أســـرى ... وعِـــداك ابـــن أمّـــها الـــتقريعُ

فـــترفّقْ بـــها فـــما هـــي إلاّ ... نـــاضرٌ دامـــعٌ وقلـــبٌ مَـــروعُ[1]

* * *

---

(١) القصيدة للسيد حيدر الحلّي رحمه الله، قال عنه السيّد جواد شبّر رحمه الله في أدب الطفّ: ولد السيد حيدر في الحلّة، وينتهي نسبه إلى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام. كان مولده (١٥) شعبان سنة ١٢٤٦ هـ، الموافق سنة (١٨٣٠ م)، وقبل أن يكمل عامه الثاني من عمره فقد والده فعاش يتيماً، وتولّى تربيته عمّه السيد مهدي...

كان شاعراً مجيداً من أشهر شعراء العراق، أديباً ناثراً، جيد الخطّ، نظم فأكثر، ولاسيما في رثاء الحسين عليه السلام ...

وقال عنه الزركلي في (الأعلام): السيد حيدر شاعر أهل البيت في العراق، أديب إمامي، شعره حسن، وكان مترفّعاً عن المدح والاستجداء، موصوفاً بالسخاء، له ديوان شعر سمّاه (الدرّ اليتيم).

وأشهر شعره حولياته في رثاء الحسين عليه السلام ... ولا تظنّ أنّ إبداعه يقتصر على مراثي أهل البيت عليهم السلام ؛ فإنّ شعره في شتى النواحي مزدان بالإبداع، مرصوص الجوانب كالسلاسل الذهبية...

ومن آثاره الأدبية: (كتاب دمية القصر في شعراء العصر) وغيرها.

توفي السيد حيدر في مسقط رأسه الحلّة عشية الأربعاء في الليلة التاسعة من ربيع الثاني، وعمره ٥٩ سنة، ودُفن في النجف الأشرف في الجهة الشمالية من الصحن الحيدري. (أدب الطفّ ٨ / ٨ - ١٤).

عگـــــــــب الخـــــــــدر ذاك ودلالي أمشـــــــي بيســـــــر يحســـــــين تالي
وراســـــــك يشـــــــيلونه اگبـــــــالي يامحنـــــــــتي ومحنـــــــــة اطفـــــــالي

* * *

مـــــشينه عـــــلى الهـــــزل ومچتفينـــــه أُوخذونـــه بهـــا اليســـر غصـــبن علينـــه
أويَـــاكم نـــضل لـــو يحصـــل بدينـــه لـــــمن يـــــحسين بـــــلفيته المحـــــتّم

* * *

(أبو ذيّة):

يـــــــخويه تعلـــــــم بحـــــــالي وداري بگيـــــــت أرعـــــــى يتامـــــــاكم وداري
سميـــــــه دورهـــــــا تزهـــــــي وداري عگبـــــــكُم يخـــــــوتي ظلّـــــــت خليـــــــه

* * *

عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أربع مَنْ كُنَّ فيه بنى الله له بيتاً في الجنّة؛ مَنْ آوى اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه»[1].

الرحمة: هي مبعث الخيرات، ومعدن الفضائل، فبالرحمة تتجمّع الصلاة، وتتوحّد البشرية، بها يبرُّ الولد أباه، وبها يصل المرء قريبه، وبها يألف الزوجان أحدهما الآخر، وبها يُكفل اليتيم، ويُشبع الجائع، ويُكسى العُريان، ويُهتمّ حتّى بالحيوان.

والرحمة: شعورٌ طيّب يُشارك الآخرين آلامهم، مُحاولاً أن يُخفّف عنهم وطأة هذه الآلامِ وينسيهم أثقالها.

رحمة الله عزّ وجلَّ على مخلوقاته

فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «... ما ظنّك بالرؤوف الرحيم الذي يتودّد إلى مَنْ يؤذيه بأوليائه، فكيف بمَنْ يؤذى فيه؟ وما ظنّك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب على مَنْ يعاديه، فكيف بمَنْ يترضاه، ويختار عداوة الخلق فيه؟»[2].

ولذا ورد أنّ إبليس يطمع في رحمة الله عزّ وجلَّ يوم القيامة؛ فقد حُكي أنّ نبيَّ الله موسى (على نبينا وآله وعليه السّلام) التقى بإبليس (لعنه الله)، فدارت بينهم بعض المحادثات، ثمّ قال نبي الله موسى عليه السلام: سترى ماذا سيحلّ بك غداً؟

---

(١) الخصال / ٢٢٣ باب الأربعة.

(٢) تحف العقول / ٣٩٩.

قال إبليس: وأنت أيضاً سترى ماذا سأفعل غداً؟

قال موسى: وما أنت فاعل؟

قال إبليس: أُطالبُ الله بوعده، واحتجّ بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، وأنا شيءٌ، فوجب أن تتّسع لي رحمته، وإذا كنتُ أنا لا شيء فاللاشيء لا يُحاسب ولا يُعاقب.

قال موسى: إنّ رحمة الله تتّسع لمنْ فيه الأهلية والقابلية لها، وأنت بعيد عنها كلّ البعد[2].

ولذا نرى أنّ رحمة الله وإن كانت واسعة ويطمع فيها حتّى إبليس، لكنّ الذي ليس أهلاً لها وليس فيه القابلية على استلامها فلا تشمله، فهي قريبة من مستحقيها؛ ولذا قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

ما هي الأُمور التي تسبّب الرحمة؟

هناك عدّة أُمور تسبّب الرحمة الإلهية، بحيث إنّ الإنسان لو فعلها كان قد سبب رحمة الله تبارك وتعالى فيها:

١ - الطاعة

فعن النبي ﷺ أنّه قال: «تعرّضوا لرحمة الله بما أمركم من طاعته»[4].

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٦.

(٢) آيات منتخبة من القرآن الكريم / ١١.

(٣) سورة الأعراف / ٥٦.

(٤) تنبيه الخواطر ٢ / ١٢٠.

٢ - الذكر

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «بذكر الله تُستنزل الرحمة»[١].

٣ - إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة للرسول صلى الله عليه وآله .

قال تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢].

٤ - رحمة خلق الله ورحمة النفس

فعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة. ارحم مَنْ في الأرض يرحمك مَنْ في السماء»[٣].

٥ - معرفة الإنسان نفسه

فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «رحم الله امرأً عرف قدره، ولم يتعدَّ طوره»[٤].

ما هي الأُمور التي تمنع الرحمة؟

١ - رحمة مَنْ لا يرحم

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «رحمة مَنْ لا يرحم تمنع الرحمة»[٥].

٢ - منع الرحمة

فعنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ لم يرحم الناس منعه الله رحمته»[٦].

رحمة الأيتام

رُوي أنّه كان النبيّ صلى الله عليه وآله يتكفّل يتيماً، وكان كلّما يجلس على طعامه

---

(١) عيون الحكم والمواعظ / ١٨٨.

(٢) سورة النور / ٥٦.

(٣) بحار الأنوار ٧٤ / ١٦٧.

(٤) عيون الحكم والمواعظ / ٢٦١.

(٥) المصدر نفسه / ٢٧٠.

(٦) المصدر نفسه / ٤٢٨.

يحضره ويأكل معه، فلمّا مضى زمان مات اليتيم، فلم يأكل النبيّ في الليلة طعاماً، وكان يتأسّف على فوته، فقال له أصحابُه: كم تُحزن قلبك بفوته وحرمانك منه! نحن نُجيئك بيتيمٍ آخر فتكفله.

قال ﷺ: «هذا اليتيم كان سيئ الخُلق، وأنا كنتُ تحمّلتُ سُوءَ أَخلاقه فلا يحصل لي من غيره ما يحصل من الفيض»[1].

وهكذا تكون مسألة اليتيم من المسائل التي اهتمّ بها النبيّ الأكرم ﷺ؛ لأجل اهتمام الباري عزَّ وجلَّ، حتّى إنّه تبارك وتعالى جعل أكل مال اليتيم أكلاً للنار، حيث قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[2].

وقد يغفر الله تبارك وتعالى للإنسان ذنوباً كبيرة لأجل اهتمامه بالأيتام. حدّث بعض الثقات أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في نواحي البصرة، فلم تجد امرأته مَنْ يعينها على حمل جنازته؛ لتنفّر الطباع منه، فاستأجرت مَنْ حملها إلى المصلّى، فما صلّى عليها أحد، فحملوها إلى الصحراء للدّفن.

وكان على جبلٍ قريبٍ من الموضع زاهدٌ مشهورٌ، فرأوه كالمنتظر للجنازة، فقصدها ليُصلي عليها، فانتشر الخبر في البلد أنَّ فلان الزاهد نزل يُصلّي على فلان، فخرج أهلُ البلد فصلّوا معه عليها، وتعجّب الناس من صلاة الزّاهد، وقيل له في ذلك، فقال: رأيتُ في المنام انزل إلى الموضع

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ١٨٤.

(٢) سورة النساء / ١٠.

الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلاّ امرأة، فصلِّ عليها؛ فإنّه مغفور له.

فازداد تعجّب الناس من ذلك، فاستدعى الزاهد امرأة الميّت وسألها عن حاله، فقالت: كان طول نهاره مشتغلاً بشرب الخمر.

فقال: هل تعرفين له شيئاً من أعمال الخير؟

فقالت: ثلاثة:

الأوّل: كان كلّ يوم يفيق من سكره وقت الصُّبح، فيبدّل ثيابه، ويتوضأ ويُصلّي الصُبح.

الثاني: أنّه كان لا يخلو بيته من يتيمٍ أو يتيمين، وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده.

الثالث: أنّه كان يفيق من سكره في أثناء الليل فيبكي، ويقول: يا ربِّ، أيّ زاويةٍ من زوايا جهنم تُريد أن تملأها بهذا الخبيث[1]؟

ومن هنا كان إيواء اليتيم ركناً من الأركان الأربعة التي يبني الله تبارك وتعالى بها بيتاً في الجنة للعبد الذي يتصّف بها كما تقدّم في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام. هذا كلّه في الأمر الأوّل من الأمور الأربعة.

رحمة الضعيف

وهي لا تختص بالإنسان بل تشمل حتّى الحيوان، فرحمة الله تبارك وتعالى عامّة وشاملة لجميع المخلوقات (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)[2]، ولكن أهم شيء

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ١٨٤.

(٢) سورة الأعراف / ١٥٦.

أن يرحم الإنسان أخاه الإنسان ويهتمّ به، خاصة إذا كان ضعيفاً من الناحية البدنية والمادية، بل وحتّى المعنوية؛ فإذا رحم الإنسان أَخاه الإنسان المسلم سوف ينزل الله تبارك وتعالى رحمته عليهما.

وقد يصل الإنسان إلى منزلة دنيوية وأخروية عالية بسبب رفقه بالحيوانات ورحمته للضعيف منها.

نُقل أنَّ السلطان المقتدر سبكتكين كان صيّاداً من سكان نيشابور، ولم يكن له من متاع الدنيا إلاّ فرس، فركبه يوماً وذهب للصيد كما كان عادته، فرأى ظبياً معه فصيلهُ، فقصدهما، ففرّ الظبي واصطاد الفصيل، فشدّه على رديفه ورجع، فلمّا ذهب قدراً من الطريق نظر إلى خلفه فرأى الظبي يسير خلفه وينظر إليه نظر حسرة، فعلم من حاله أنّه يطلب فصيله؛ ولهذا يمشي خلفه، فرّق وأشفق عليه في نفسه: الصيد وإن كان حلالاً ومباحاً لي لكن الترّحم على هذا الظبي أولى من هذا الصيد. فوضعه على الأرض، فأخذ مع أُمّه بطريقهما.

وكان السبكتكين ينظر إليهما، فرأى الظبي قد رجع وهو ينظر إليه كأنّه يدعو له، فرجع إلى منزله، فرأى في تلك الليلة رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول له: «يا سبكتكين، إنّ الله أعطاك السلطنة والدولة العظمى بشفقتك وترحّمك على الظبي، فيجب عليك أن تراعي ذلك في رعيّتك لتدوم دولتك».

فما مضى زمان حتّى استقّر على سرير الملك الكبير[١].

الشفقة على الوالدين

وهذا هو الركن الثالث والأمر المهمّ في الحديث، وهو أنّ الإنسان يشفق على والديه ويرحمهم، وينظر إليهما نظرةً رحيمة؛ فإنّ «رضا الله مع رضا الوالدين، وسخط الله مع سخط الوالدين»[٢].

وهما الباب الذي إذا أراد الإنسان أن يرضي الله تبارك وتعالى يرضيه عن طريقهما، حتّى قرن سبحانه وتعالى عبوديته بطاعتهما، حيث قال عزَّ جلّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[٣].

سُئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[٤]، ما هذا الإحسان؟ فقال: «الإحسان صُحبتهما، وأن لا تكلّفَهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين. أليس يقول الله (عزّ وجلّ): ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حتّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؟»[٥].

فمن حقّنا أن نعرف ويعرف كلُّ ذي لُبٍّ أنّ الأب وإن عظم حقّه لما يقوم به للولد من بذلٍ في سبيل تثقيفه وتأديبه، فيما ليس بإمكان الأُمّ أن تقوم

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ١٨٨.

(٢) روضة الواعظين / ٣٦٨.

(٣) سورة الإسراء / ٢٣.

(٤) سورة البقرة / ٨٣.

(٥) الكافي ٢ / ١٥٧، ح١، والآية من سورة آل عمران / ٦٢.

بالبعض منه إلاّ نادراً، هو أقلّ منها حقّاً على الولد، كيف ولماذا؟ لأنّها تحمّلت في حمله والمخاض به في «ساعات الطلق» الموصوفة بسكرات الموت، تحمّلت ما لم يستطع الوالدُ لو كُلِّف تحمُّل بعضه، إضافةً إلى ما تحمله للولد من حنانٍ فائق.

هذا أمير المؤمنين عليه السلام ووصيُّ رسول ربِّ العالمين يُخاطبُ ولده الحسن الزكيّ عليه السلام بوصيته له: «بُنيَّ، وجدتُك بعضي، بل وجدتُك كُلّي، حتّى لو أنَّ شيئاً أو سهماً أصابك أصابني، ولو أنّ الموت أتاك أتاني»[1].

يخاطبُه بهذا الخطاب، والحسن عليه السلام عندها بتمام الصحة وريعان الشباب، لم يُصب بشيءٍ، لكنّ الإمام عليه السلام يصف شفقته عليه وتألمه إليه، لو قُدّر أنّه يُصابُ بسهمٍ أو بجرحٍ يقول له الإمام عليه السلام: ذلك السهم باللحظة نفسها أُصاب به كما أُصبتَ.

يعني من شدّةِ الحُبّ وقوّة العلاقة، والصفاءِ والولاء الذي بيني وبينك ما يُؤلمك يُؤلمني، وما يُصبك يُصبني.

وقال حُكماء العرب: إصابةُ السَّهم أخفُّ ألماً من إصابة الهمّ والغمّ.

ولذا يقف الإمام الحسين عليه السلام على ابن أخيه القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام، وكأنّما وقف الإمام على ولده؛ لأنّه هو الذي ربّاه واعتنى به، وكأنّي به يخاطبه[2]:

---

(١) بحار الأنوار ٧٤ / ١٩٩.

(٢) من دروس شيخنا الأستاذ محمّد سعيد المنصوري رحمه الله.

صـــاح يا جســـام وعـــد راســـه گعـــد ويـــل گلـــبي ينحـــب أوكلبـــه انمـــرد
يـــبن أخـــوي العـــرس چـــا إلمـــن بعـــد أوهامتـــك مـــن ســـيف الأزدي مشـــرگه

ثمّ جاء عمّه عليه السلام يناشده:

يعمّـــي اشـــگالت مـــن الطـــبر روحـــك يـــجاسم مـــا تـــراويني اجروحـــك
لـــون ابكـــي يعمّـــي چنـــت انوحـــك بگلـــب مثـــل الغضـــه وابـــدمع مُحمـــر

* * *

إن يبكـــه عمّـــه حـــزناً لمصـــرعه فـــما بكـــى قمـــرٌ إلاّ علـــى قمـــرِ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،
وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون
والعاقبة للمتقين.

المجلس الحادي عشر

برّ الوالدين وعقوقهما

المجلس الحادي عشر

برّ الوالدين وعقوقهما

مـــــاتَ التصـــــبّرُ في انتظـــــارك أيّـــــها الـــــمُحي الـــــشريعه
فـــــانهضْ فمـــــا أبقـــــى التحمّـــــ ـــــلُ غـــــيرَ أحـــــشاء جـــــزوعه
كـــــم ذا الـــــقعودُ وديـــــنُكم هُـــــدمتْ قـــــواعدُهُ الرفعيـــــه
تـــــنعى الـــــفروعُ أُصـــــوله وأُصـــــولهُ تـــــنعى فروعـــــه
مـــــاذا يـــــهيجُك إن صـــــبر تَ لوقعـــــةِ الـــــطفِّ الـــــفظيعه
أتـــــرى تـــــجيءُ فـــــجيعةٌ بـــــأمضَّ مـــــن تلـــــك الفجيعـــــه
حـــــيثُ الحســـــينُ علـــــى الثـــــرى خيـــــلُ العـــــدى طحنـــــت ضـــــلوعه
قتلتُـــــــــــه آلُ أميـــــــــــةٍ ظـــــامٍ إلـــــى جنـــــبِ الشـــــريعه
ورضـــــــيعُهُ بـــــــدمِ الوريـــــــ دِ مُـــــخضّبٌ فاطلـــــبْ رضـــــيعه
مـــــا هـــــزّ أضـــــلُعَكم حِـــــدَا ءُ القـــــومِ بالعـــــيسِ الظليعـــــه[1]

* * *

(نصاري):

مـــــشينه اعلـــــه الهـــــزل وامچتفينـــــه أُوخذونـــــه ابهـــــا اليســـــر غصـــــباً علينـــــه
أُويـــــاكم نـــــضل لـــــو يحصـــــل بدينـــــه لـــــمن يـــــحسين يـــــلفينه المحـــــتّم

---

(١) القصيدة للسيد حيدر الحلّي ﵀، وقد تقدّمت ترجمته في المجلس العاشر.

مشـــت فـــوك الظعـــن والحـــرم تنحـــب أوعليهـــا اســـياط شمـــر أُو زجـــر تلعـــب
حـــــتّه الـــــظعن لـــــلكوفه تگـــــرّب لا بـــــن زيـــــاد لـــــمبشّر تـــــجدّم

(فايزي):

مـــن گـــال للكوفـــه العقيلـــه اميسّـــره أتـــروح فـــوگ الجمـــال الضـــالعه أُوبـــين العـــده اتنـــوح
اِتـــعاين الـــروس إخوانهـــا جـــدّامها اتلـــوح فـــوگ الـــرماح إبـــديرة الكوفـــه ادخلوهـــا

وكأنّي بزينب تخاطب حامل الرأس:

يـــــــشايل راس حامينـــــــه أُوولينـــــــه ريّـــــض خلّـــــي إتودعـــــه اســـــكينه
لـــيش حســـين ســـاچت عـــن ونينـــه گلـــي تعـــب يـــو جرحـــه تخـــدّر

* * *

(أبو ذيّة):

حـــرت مـــا بـــين هالنســـوه والايتـــام أُوبكينـــه أبيســـر مـــا عِدنـــه وليتـــام
لـــــون عبّـــــاس يـــــبرالي والايتـــــام مـــــا واحـــــد كفـــــو يحســـــر علـــــيَّ

* * *

قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوكِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً)[1].

برّ الوالدين هو الإحسان إليهما، وهو من أفضل القربات إلى الله (عزّ وجلّ)، وضدّه عقوق الوالدين، وهو الإساة إليهما.وكلا الأمرين يتحقّق بالأعم من القول أو الفعل، بل أحياناً نجد أنّ الإيذاء باللسان أقوى تأثيراً من الإيذاء بالفعل الخارجي، فقد تكون كلمة تصدر من الإنسان تساوي جرح السيوف؛ ولذا قال الشاعر:

جراحات السنان لها التئامُ ولا يلتام ما جرح اللسانُ[2]

وبالفعل هذه حقيقة موجودة في التعامل مع المجتمع. فالبرّ والعقوق يحصلان بالفعل أو بالقول.

وهذا الموضوع من الموضوعات التي اهتم بها الباري (عزّ وجلّ) اهتماماً منقطع النظير، حتّى إنّه تبارك وتعالى قرن برّ الوالدين والإحسان إليهما بالتوحيد، وكأنّه (عزّ وجلّ) يريد أن يقول للمجتمع: إنّ درجة برّ الوالدين درجة بالغة الأهمية، بل لعلّها تصل في التسلسل لأن تكون بعد الإيمان بي.

---

(١) سورة الإسراء / ٢٣.

(٢) فيض القدير ٦ / ١٧٩، ونسبه للسيد المرتضى رحمه الله.

ولذا تجد أنّ أربع آيات في الكتاب العزيز قرنت برّ الوالدين بالتوحيد.

الآية الأولى في سورة البقرة آية ٨٣، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾.

والآية الثانية في سورة الأنعام آية ١٥١، حيث قال (عزّ وجلّ): ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾.

والآية الثالثة: في سورة النساء، حيث قال عزّ من قائل في آية ٣٦ من السورة المذكورة: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...﴾.

بالإضافة إلى الآية المذكورة في صدر المجلس والتي هي محلّ البحث.

فهذه الآيات التي ذكرتها، هي الآيات التي قرنت بين الإيمان بالله تبارك وتعالى وبين برّ الوالدين.

وأمّا الآيات التي حثّت على برّ الوالدين بصورة عامّة من غير القرن بالتوحيد فهي كثيرة، منها في سورة لقمان آية ١٥، ومنها في سورة الأحقاف آية ١٥٠، إلى غير ذلك.

هذا كلّه ترغيب واردٌ وحثٌّ مؤكدٌ من القرآن الكريم.

وأمّا ما ورد في الحثّ على برّ الوالدين، والتجنّب عن عقوقهما في لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فقد ورد عنهم عليهم السلام: «إذا كان يوم القيامة كُشف غطاء من أغطية الجنّة، فوجد ريحها مَنْ كانت له روح من مسيرة خمسمئة عام إلاّ صنف واحد». قلت: مَنْ هم؟ قال: «العاق لوالديه»[1].

---

(١) الكافي ٢ / ٣٤٨، ح٣.

ولهذا أكّد الحقّ سبحانه وتعالى على قضية الإحسان لهما، فتراه جلّت عظمته تارةً يوصي وتارةً يُنذر وأُخرى ينهى؛ حفظاً لعباده من العقوق وعاقبته السيئة. ألا ترى أنّه أمر بذلك بعد نهيه عن العبادة سواء؟

وهذا نفسه دليل واضح على ما لهذا الأمر من قيمة راجحة عنده تعالى، والمصلحة في كلا الأمرين ترجع للعبد لا إلى المعبود سبحانه وتعالى، وهكذا الإحسان للأبوين أو لغيرهما ترجع به الفائدة الكبرى للمحسن.

وهذا القرآن، وهذه حكمته ناطقة بذلك، معبّرة عمّا هنالك، يقول (عزّ وجلّ): ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

فإحسان الولد لأبويه وبرّهما إنّما يرجع إليه؛ سواء كان عاجلاً في دار الدنيا، أم آجلاً في دار الآخرة التي هي الحياة الأبدية، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[2].

لذا روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وكان له عجلة، فأتى بالعجل إلى غيضة (مزرعة)، وقال: اللّهمّ إنّي استودعك هذه العجلة لابني حتّى يكبر.

ومات الرجل، فشبّت العجلة في الغيضة وصارت عواناً، وكانت تهرب من كلّ مَن رامها، فلمّا كبر الصبي كان بارّاً بوالدته، وكان يقسّم الليل ثلاثة أثلاث؛ يصلّي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أُمّه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره، ويأتي السوق فيبيعه بما شاء، ثمّ يتصدّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثاً.

---

(١) من دروس شيخنا الأستاذ محمّد سعيد المنصوري (حفظه الله)، والآية (٦٤) من سورة العنكبوت.

(٢) العنكبوت / ٦٤.

فقالت له أُمّه يوماً: إنّ أباك ورّثك عِجلةً، وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها، فانطلق إليها وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردّها عليك، وإنّ من علامتها إنّك إذا نظرت إليها يخيّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمّى المذهّبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها.

فأتى يعقوب الغيضة فرآها ترعى، فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب. فأقبلت تسعى حتّى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وقادها، فتكلّمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت: أيّها الفتى البار بوالدته، اركبني؛ فإن ذلك أهون عليك.

فقال الفتى: إنّ أُمّي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها.

قالت البقرة: بإله إسرائيل، بنبيّ إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليَّ أبداً، فانطلق فإنّك لو ركبتني أمرت الجبل أن يقتلع من أصله وينطلق معك لفعل؛ لبرّك بوالدتك.

فسار الفتى بها، فاستقبله عدوّ الله إبليس في صورة راع، فقال: أيّها الفتى، إنّي رجل من رعاة البقرة، اشتقت إلى أهلي، فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتّى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضي حاجتي، فقد أوسط الجبل وما قدرت عليه، وإنّي أخشى على نفسي الهلكة، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت، وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك.

فلم يفعل الفتى، وقال: اذهب فتوكّل على الله، ولو علم منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة.

فقال إبليس: إن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة مثلها.

فقال الفتى: إنّ أُمّي لم تأمرني بذلك.

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر بين يدي البقرة فهربت البقرة في الفلاة وغاب الراعي، فدعا الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت البقرة إليه، فقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته، لا تمرّ إلى الطائر الذي طار فإنّه إبليس عدوّ الله اختلسني، أما إنّه لو ركبني لما قدرت عليه أبداً، فلمّا دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردّني إليك؛ ببرّك بأمّك وطاعتك لها.

فجاء الفتى إلى أُمّه، فقالت له: إنّك فقير لا مال لك، ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها.

قال لأمّه: بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي. وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير.

فانطلق الفتى إلى السوق، فعقبه الله سبحانه ملكاً ليرى خلقه وقدرته؛ ليختبر الفتى كيف برّه بوالدته، وكان الله به خبيراً. فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا أُمّي.

فقال له الملك: ستة دنانير ولا تستأمر أُمّك.

فقال له الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلاّ برضا أُمّي. فردّها إلى أُمّه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضايتي. فانطلق بالبقرة إلى السوق، فأتى الملك فقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: نعم، إنّها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها.

قال له الملك: تأتي أُعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها. فأبي الفتى ورجع إلى أُمّه وأخبرها بذلك، فقالت: إنّ ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليجرّبك، فإذا أتاك فقل له: أتأمر أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل ذلك، فقال الملك: اذهب إلى أُمّك وقل لها: أمسكي هذه البقرة، فإنّ موسى يشتريها منك لقتيل يُقتل في بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلاّ بملأ جلدها دنانير.

فأمسكوا تلك البقرة، وقد أراد الله تعالى على بني إسرائيل ذبح البقرة بعينها؛ مكافأة على برّه بوالدته؛ فضلاً منه ورحمة، فطلبوها فوجدوها عند الفتى، فاشتروها بملأ مسكها - جلدها - ذهباً[1].

هذا نموذج بسيط زائل في الحياة الدنيا لمنْ برَّ بوالدته، وأمّا ما أعدّ الله له في الآخرة فلا يعلمه إلاّ هو (عزّ وجلّ).

والآية التي افتتحنا بها المجلس جامعة مانعة، قالت: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ) .أوّل ما حكمت به وألزمت وفصّلت ووضعت الحدّ والنهاية في أن لا تعبدوا إلاّ الله تبارك وتعالى، أمر منه (عزّ وجلّ) بأن لا نعبد إلاّ إيّاه جلّ جلاله.

فأمر الله تبارك وتعالى بإخلاص العبادة له (عزّ وجلّ)؛ لأنّها أوجب الواجبات، كما إنّ معصيته وهو الشرك بالله سبحانه أكبر الكبائر الموبقة، وإلى الشرك تعود جميع المعاصي بحسب التحليل؛ ولعظم هذا الأمر قدّمه الباري (عزّ وجلّ) على جميع الأحكام الخطيرة شأناً؛ كعقوق الوالدين، ومنع حقوقهما، والتبذير، وقتل الأولاد، والزنا، وقتل النفس المحترمة إلى غير ذلك.

ثمّ انتقلت الآية - بعد الأمر بالتوحيد - إلى حكم آخر يأتي بالمرتبة الثانية من الأهمية بعد التوحيد لله تبارك وتعالى، وهو (وبالوالدين إحساناً) .

بمعنى وقضى ربّك ألا تعبدوا إلاّ إيّاه،

---

(١) بحار الأنوار ١٣ / ٢٧٥، قصص الأنبياء - الجزائري / ٣٢٦.

وقضى ربّك بأن تُحسنوا بالوالدين إحساناً. والإحسان يقابل الإساءة كما هو معلوم.

وهذا بعد التوحيد لله من أوجب الواجبات، كما إنّ عقوقهما من أكبر الكبائر على سائر الأحكام المذكورة المعدودة، وكذلك فعل عزَّ وجلَّ في عدّة مواضع من كلامه تبارك وتعالى.

ثمّ انتقلت الآية إلى أمر آخر وحقيقة أخرى حيث قالت: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوكِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً).

بلوغ الكبر يعني بلوغ كبر السنّ، وأُف كلمة تفيد الضجر والانزجار[1]، وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جدّه أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو علم الله كلمة أوجز في ترك عقوق الوالدين من (أُفٍّ) لأتى بها».

وفي رواية أُخرى قال: «أدنى العقوق أفٍّ، ولو عَلِمَ الله شيئاً أيسر وأهون منه لنهى عنه»[2].

وتخصيص حالة الكبر بالذكر لكونها أشقّ الحالات التي تمرّ على الوالدين، فيحسّان فيها الحاجة إلى إعانة الأولاد لهما، وقيامهم بواجبات حياتهما التي يعجزان عن القيام بها، وذلك من آمال الوالدين التي يأملانها من الأولاد حين يقومان بحضانتهم وتربيتهم في حال الصغر، وفي وقت لا قدرة لهم على شيء من لوازم الحياة وواجباتها.

فالآية تدلّ على وجوب إكرامهما ورعاية الأدب التام في معاشرتهما ومحاورتهما في جميع الأوقات، وخاصة في وقت تشتدّ

---

(١) تفسير الميزان ١٣ / ٧٩ - ٨٠.

(٢) تفسير البرهان ٤ / ٥٤٨، ح ١٢ و١٣.

حاجتهما إلى ذلك، وهو وقت بلوغ الكبر من أحدهما أوكليهما عند الولد[1].

هذا كلّه في برّ الوالدين في حياتهما، وأمّا بعد وفاتهما وانتقالهما إلى الدار الآخرة فهناك عدّة طرق لبرّهما، منها: أن يصلّي صلاة برّ الوالدين، وهي ركعتان؛ يقرأ في الركعة الأولى - بعد سورة الحمد - عشر مرّات: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾، وفي الركعة الثانية - بعد الحمد أيضاً - عشر مرّات: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ويقول بعد التسليم والانتهاء من صلاته عشر مرّات: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[2].

وأن يتصدّق عنهما، وأن يقضي ما فاتهما من صلاة وصيام، وما عليهما من ديون، ويحجّ عنهما ويزور المراقد الشريفة، ويدعو لهما في صلاة الليل وصلاة الفريضة، فإن فعل ذلك فقد فتح لنفسه أبواب الرحمة والسعادة في النشأتين، وتمّت أعماله بحسن العاقبة، وذلك منتهى الغاية .

ويتعهّد بزيارة قبريهما ويدعو لهما، ويرضيهما بأيّة حالٍ من الأحوال، وإلاّ إذا انتقل الإنسان من هذه الدنيا إلى الحياة الأُخروية، الله يعلم ماذا يجري هنالك ورسولُه ﷺ ؛ ولذا يروى أنّه كان رسول الله ﷺ جالساً في أحد الأيام في المسجد، وفجأة هبط عليه جبرئيل الأمين، وقال له: السّلام عليك يا رسول الله، انقل أقدامك الشريفة إلى المقبرة

---

(١) تفسير الميزان ١٣ / ٨٠.

(٢) مكارم الأخلاق / ٣٣٤، بحار الأنوار ٨٨ / ٢٢٠ - ٢٢١.

لكي تتبرّك القبور بتراب أقدامك، ولكي يشمّ حبيسو هذه القبور الضيقة المظلمة نسيم رحمتك الذي سيهبّ عليهم بقدومك عليهم.

فقام رسول الله ﷺ مع طائفة من أصحابه ويمّموا وجوههم نحو المقبرة، وكان أصحابه يحيطون به عن يمينه وعن شماله. وفي الأثناء وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى هناك، وسأل الرسول ﷺ عن نيّتهم في هذا المسير، فقال له: «نريد أن نذهب إلى مقبرة البقيع».

وعندما وصلوا إلى هناك تداعى إلى أسماع الرسول ﷺ صوت شخص يستغيث، ويقول: الأمان يا رسول الله. فانتبه سيد الرسل إلى هذا الصوت، وقال: «يا صاحب القبر، أخبرني عن سبب عذابك».

فأجابه: يا شفيع المذنبين، وقدوة المؤمنين، إنّ سخط والدتي عليّ سبّب لي هذا العذاب؛ لأنّني آذيتها في حياتي. الأمان الأمان يا رسول الله!

فأمر الرسول ﷺ بلالاً أن ينادي في المدينة على الناس بأن يجتمعوا، فنادى بلال بصوت جهوري: يا أيّها الناس، اجتمعوا على قبور الآباء والأُمّهات والأقرباء بأمر من رسول الله ﷺ .

وعندما سمعوا نداء بلال هبّوا مسرعين إلى المقبرة، فغصّت المقبرة بالناس، ومن بين الحضور كانت عجوزٌ محدودبة الظهر تتوكأ على عصاتها جاءت ووقفت بالقرب من رسول الله ﷺ ، فسلّمت عليه وقبّلت التراب بين يديه، وقالت: يا رسول الله، ما الخبر؟

فقال: «أيّتها العجوز، هذا ولدك؟».

فأجابت: نعم يا رسول الله.

فقال لها ﷺ: «إنّ ولدك الآن في محنة وعذاب، اغفري له وارضي عنه».

فقالت العجوز: يا رسول الله، لا أغفر له ولا أرضى عنه أبداً.

فقال لها: «لماذا؟».

قالت: لقد غذّيته من لبني، وعاش في كنفي، وتحمّلت من أجله الصعاب، فلمّا كبر واشتدّ عوده فبدلاً من أن يحسن لي أخذ يتلذّذ بأذيتي وعذابي.

فقال لها رسول الله ﷺ: «اعطفي عليه وارحميه لينجو من عذابه».

ورفع رسول الله ﷺ يديه بالدعاء، وقال: «إلهي، بحقّ الخمسة من آل الكساء أسمع هذه الأمّ صوت استغاثة ولدها؛ كي يرقّ قلبها عليه، وتعطف عليه وتغفر له».

عندها أمر العجوز بأن تضع أذنها على قبر ولدها وتسمع صوت ولدها يئن بألم وحسرة، فلم تتمالك عن البكاء، وقالت: يا سيد المرسلين وشفيع المذنبين، إنّه يستغيث، ويقول: فوقي نار، وتحتي نار، وعن يميني نار، وعن شمالي نار، ومن بيني نار، الأمان الأمان الأمان!

عندها رقّ قلب العجوز بسبب سماعها استغاثة ولدها، وقالت: إلهي، لقد عفوت عن تقصير ولدي. فألبسه الله سبحانه وتعالى لباس رحمته وعفا عنه فوراً، فنادى الولد: أيّتها الوالدة، عفا الله عنك كما عفوتِ عنّي[1].

هكذا كان أثر دعاء الوالدة لولدها؛ ولذا ترى أنّ الحسين عليه السلام يوصي أُمّ علي الأكبر ليلى: «ادعي لولدك؛ إنّي سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول: دعاء

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ١٢٣ - ١٢٤.

الأمّ مستجاب بحقّ ولدها».

وبالفعل دخلت ليلى إلى الفسطاط؛ نشرت شعرها، رفعت يديها إلى السماء قائلة: إلهي، بغربة أبي عبد الله، إلهي، بعطش أبي عبد الله، يا راد يوسف إلى يعقوب اردد إليَّ ولدي عليّ.

ما هي إلاّ لحظات وإذا بعليّ الأكبر يرجع سالماً، واستجاب الله دعاء ليلى بحقّ ولدها، ولكن المصيبة الكبرى عندما وقع القضاء، وشاء الله أن يراه على رمضاء كربلاء مقطّع إرباً إرباً، وكأنّي بأمّه ليلى تخاطبه:

يبـــني أنا ردتـــك ذخـــر ليـــام شـــيبي يـــــوسفه انگطـــــع مِنـــــك نصـــــيبي

(مجاريد):

فـــجيده يـــا عـــلي يـــبني فجيـــده بـــــعيده شـــــوفتك صـــــارت بعيـــــده

الـــمدّ ايـــده عـــليك انشـــلّت ايـــده أُوشـــرابه لا هنـــه ولا طـــاب لـــه الـــزاد

* * *

يـــا علـــي يبـــني النـــوب ذلّيـــت والـــــــموت يـــــــاخذني تمنّيـــــــت

عمـــــود الوســـــط يا شـــــايل البيـــــت يـــــبني بعـــــد عنـــــدي اشـــــخلّيت

* * *

(أبو ذيّة):

يبـــني أنا ردتـــك مـــا ردت دنيـــه ولا مـــال تـــحضرني لـــو وگـــع حملـــي ولا مـــال

يـــــالاكبر خـــــابت اظـــــنوني والامـــــال عـــــند الـــــضيج يـــــبني اگطعـــــت بي

* * *

رجوتُـــــك يا علـــــيُّ تعـــــيش بعـــــدي وتـــــوّد جثـــــتي رمـــــسَ اللحُـــــودِ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الثاني عشر

الصبر

المجلس الثاني عشر

الصبر

حـــكمُ الـــمنيّةِ فـــي البريـــةِ جـــاري ... مـــا هـــذه الـــدُّنيا بـــدارِ قـــرارِ
بينـــا يُـــرى الإنســـانُ فيهـــا مُخبـــراً ... حـــتّى يُـــرى خـــبراً مـــن الأخـــبارِ
طُـــبعت علـــى كـــدرٍ وأنـــتَ تُريـــدُها ... صـــفواً مـــن الأقـــذار والأكـــدارِ
ومـــكلّفُ الأيـــامِ ضـــد طـــباعها ... مـــتطلبٌ فـــي الـــماء جـــذوةَ نارِ
وإذا رجـــوتَ الـــمستحيل فـــإنّما ... تـــبني الـــرجاء علـــى شـــفيرٍ هـــارِ
فـــالعيشُ نـــومٌ والـــمنيّةُ يـــقظةٌ ... والـــمرءُ بـــينهما خـــيالٌ ســـارِ
والـــنفس إن رضـــيتْ بـــذلك أوأبـــتْ ... منقـــادةٌ بأزمّـــةِ الأقـــدارِ
إيّـــاك أن تـــغتَّر بـــالدهر الـــذي ... أودى بـــآل الـــمصطفى الأبـــرارِ
نُـــحرت نحـــورهم بعرصـــة كـــربلا ... عـــطشاً ومـــاءُ النهـــر فيهـــا جـــاري
أبـــكيهمُ تـــحت الـــعجاج وبيـــنهم ... ثـــاوٍ شـــبيهُ الـــمصُطفى الـــمُختارِ
لـــم أنـــسه والـــسبط جـــاثٍ حولَـــه ... يـــدعو بـــدمعٍ هـــاطلٍ مـــدرارِ
يـــا كـــوكباً مـــا كـــان أقصـــرَ عُمـــرَه ... وكـــذا تـــكونُ كـــواكبُ الأســـحارِ
عـــجل الخســـوفُ عليـــهِ قبـــلَ أوانـــه ... فطـــواه قـــبلَ مـــظنّةِ الأبـــدار
فكـــأنَّ قلـــبي قـــبره وكـــأنّه ... فـــي طـــيّهِ ســـرٌ مـــن الأســـرارِ
جـــاورتُ أعـــدائي وجـــاورَ ربّـــه ... شـــتان بـــينَ جـــوارهِ وجـــوارِ[1]

---

(١) القصيدة لأبي الحسن التهامي رحمه الله، قال عنه الزركلي في الأعلام ٤ / ٣٢٧، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣ / ٣٧٨ - ٤٧١: هو علي بن محمّد بن فهد أبو الحسن التهامي الشاعر. مولده ومنشؤه باليمن، وطرأ على الشام وسافر منها إلى العراق والى الجبل، ولقي الصاحب بن عبّاد وقرأ عليه، وتقلّد الخطابة بالرملة وتزوّج بها، وكانت نفسه تحدثّه بمعالي الأمور، وكان يكتم نسبه، فيقول تارةً: إنّه من الطالبيّين، وتارة من غيرهم، ولا يتظاهر بشيء من الأمرين.

نسخ شعر البُحتري... أُعتقل بخزانة البنود بالقاهرة لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤١٦ هـ، ثمّ إنّه قُتل سرّاً في سجنه تاسع جمادى الأولى من السنة المذكورة، وكان أصفر اللون، ورئي بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. فقيل له: بأيّ الأعمال؟ قال: بقولي في مرثية ولد لي صغير، وهو:

جـــاورت أعـــدائي وجـــاور ربَّـــه ... شـــتان بـــين جـــواره وجـــواري

وهذه القصية قالها في رثاء ابنه، وقد عُدت من عيون قصائد الرثاء والحكمة.

(أبو ذيّة):

شـــــافه والـــــنبل نابـــــت علـــــيّ راح گعـــد عنـــده وصـــفك راحـــاً علـــى راح

وگـــــام وصـــــاح يا زينـــــب علـــــي راح يـــــختي أظلّمـــــت الـــــدُنيا علـــــيَّ

* * *

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

الصبر: هو حبس النفس عمّا تُحبّ، وترك الجزع عند ما تكره. وهو أيضاً تحمّلُ الإنسانُ لحالة حدثت له تستدعي فيه التحمّل والهدوء، ومعالجة الأمور بتعقّل ولو طالت مدّة هذه الحالة، مثل: تحمّل المريض لمرضه، وصاحب المصيبة لمصيبته، وأيضاً تحمّله لترك الذنوب، وتحمل حصول الإنسان على النعمة والاستمرار في شكر الله وطاعته وعدم معصيته.

والصبر من فروع الرضا بقضاء الله وقدره، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. وضدّه الجزع الذي هو عدم الصبر على البلاء.

وقد قسّم الصبرُ إلى أقسام وأنواع منها:

١ - الصبر على الطاعة

بمعنى أن يتحمّل المداومة التي تحتاجها الطاعة، فترى البعض من الناس ليس عنده القدرة على تحمّل ركعتي صلاة الصبح، بل أكثر من ذلك البعض لا يستطيع أن يتحمّل الزمان الذي يستغرقه الآذان أو تسغرقه الإقامة.

---

(١) سورة البقرة / ١٥٥ - ١٥٧.

حكي أنّ أحد الولاة سمع أحدَ الرعيّة يدعو عليه بالهلاك، ويقول: اللّهمّ خلّصنا منه.

فخرج هذا الوالي وقال له: علامَ أنت تدعو عليّ، وأنا لم يكن لي معكم إلاّ بعض الأيام، فما لكم قد مللتموني؟!

قال الرجل: أيّها الوالي، إنّني ابتدئ بالأذان وأشرع، حتّى إذا بلغت وسطه مللتُ فقطعته.

فهذا نموذج من الناس تراهم ليس لهم القابلية على تحمّل أبسط الأمور، وهذه الحالة تعتري الكثير من بني البشر.

فالصبر على المداومة على الطاعة - بالحقيقة - هو صبر على النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان، بأن يصبر على الشكر لصاحب النعمة وهو الله، فيسير في طريق الاستقامة فيصبر على الطاعة كما يصبر على أن لا يعصي خالقه، ويستمر في العبادة والصلاة لوقتها، وصوم شهر رمضان وغير ذلك. وهو بتوفيق الله تعالى والمداومة يصبح يسيراً.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّا وجدنا الصبر على طاعة الله أيسر من الصبر على عذابه»[1].

٢ - الصبر على عدم معصية الله

بأن يصبر أن لا يغتاب، ولا يكذب، ولا يتكبّر، ولا يرتكب المحرّمات... فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «اصبروا على عمل لا غنى لكم عن ثوابه،

---

(١) مستدرك الوسائل ١١ / ٢٦١، ح٧.

واصبروا على عملٍ لا طاقة لكم على عِقابه»[1].

وهذا النوع من الصبر من الأنواع التي تحتاج إلى المجاهدة والرياضة النفسية العالية حتّى قيل: إنّ الصبر على عدم المعصية أفضل من كلّ مراتب الصبر[2].

٣ - الصبر على البلاء والمصائب

وهذا هو محلّ الكلام، فكلّ إنسان يعاني من هذه الأُمور فإن أراد الراحة في الدنيا والثواب في الآخرة فعليه أن يصبر، ويسلّم أمره إلى الله، ويتوكّل عليه، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويحاول أن يعالج البلاء بتعقّل وهدوءٍ.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمَنْ صبر على المكاره في دار الدنيا دخل الجنّة. وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمَنْ أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»[3].

ولو تأمّلنا في الآيات التي افتتحنا بها المجلس نلاحظ عدّة امتحانات وبأشكال مختلفة؛ فتارةً يكون الامتحان عن طريق الخوف، وأُخرى عن طريق الجُوع، وثالثة عن طريق النقص في الأموال والأنفس - يعني الموت وما شاكله -، فالآية تعرّضت للاختبار الإلهي العام ولمظاهره المختلفة، باعتباره سُنّة كونية

---

(١) أمالي الصدوق / ١٧٠، ضمن الحديث الخامس.

(٢) الأربعون حديثاً / ٢٥١.

(٣) الكافي ٢ / ٨٩ - ٩٠، ح٧.

لا تقبل التغيير. وكما كان الانتصار في هذه الاختبارات لا يتحقّق إلاّ في ظلّ الثبات والمقاومة، قالت الآية بعد ذك (وبشّر الصابرين). فالصابرون هم الذين يستطيعون أن يخرجوا منتصرين من هذه الامتحانات لا غيرهم.

ثُمَّ إنّ الآية التي بعدها تُعرِّفُ الصابرين وتقول: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ). فالإقرار التام بالعبودية المطلقة لله يعلّمنا أن لا نحزن على ما فاتنا؛ لأنّه سبحانه مالكنا ومالك جميع ما لدينا من مواهب؛ إن شاء منحنا إيّاها، وإن استوجبت المصلحة أخذَها مِنّا، وفي المنحة والمحنة مصلحة لنا.

والالتفات المستمر إلى حقيقة عودتنا إلى الله سبحانه وتعالى يشعرنا بزوال هذه الحياة، وبأن نقص المواهب المادية وتوفّرها عَرض زائل، ووسيلة لارتقاء الإنسان إلى سلّم تكامله، فاستشعار العبودية والعودة في عبارة (إنا لله وإنا إليه راجعون) له الأثر الكبير في تعميق روح المقاومة والاستقامة والصبر في النفس[1].

ومن الواضح أنّ المقصود من قول هذه العبارة ليس ترديدها باللسان فقط، بل استشعار هذه الحقيقة، والالتفات إلى ما تنطوي عليه من توحيد وإيمان[2].

وقد يُسأل سائل: لماذا هذا الاختبار الإلهي وبأشكاله المختلفة؟ إنّما نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم، فهل إنّ الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا

---

(١) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ قولنا: إنّا لله إقرارٌ على أنفسنا بالملك، وقولنا: إنّا إليه راجعون: إقرار على أنفسنا بالهلك». نهج البلاغة ٤، قصار الحكم / ٦٤٦، الحكمة رقم ٩٩.

(٢) تفسير الأمثل ١ / ٤٤٠ - ٤٤٢ «بتصرّف».

الاختبار لعِباده، وهو العالم بكلِّ الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه سبحانه وتعالى حتّى يظهر له بهذا الامتحان؟!

والجواب: إنّ مفهوم الاختبار الإلهي يختلف عن الاختبار البشري؛ فاختباراتنا البشرية بين بعضنا والبعض الآخر هي - كما ذُكر آنفاً - لرفع الإبهام والجهل، وأمّا الاختبار الإلهي فالأمر فيه ليس كذلك، بل المقصود منه التربية.

فالاختبار الإلهي يشبه عمل زارعٍ خبيرٍ ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ بالنمو، ثمّ تصارع هذه البذور كلّ المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرياح العاتية والبرد الشديد والحرّ اللافح؛ لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة، أو شجرة مثمرة تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب. وهذا هو سرّ الاختبارات الإلهية.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]، مع أنّه تبارك وتعالى عليم بذات الصدور ولا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، وما تسقط من ورقة ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ وهو تعالى مطّلع عليه وحاضر لديه، ومع هذا يبتلي عباده لا ليفهم ويطّلع بل ليربّي ويروّض.

ومن هنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة مبيّناً سبب الاختبارات

---

(١) سورة آل عمران / ١٥٤.

الإلهية: «... وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يُستحقُ الثواب والعقاب»[1].

أي إنّ الصفات الكامنة لا يمكن أن تكون وحدها معياراً للثواب والعقاب، فلا بدّ أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، والله يختبر عِباده ليتجلّى ما يضمرونه في أعمالهم، ولكي تنتقل قابليّاتهم من القوّة إلى الفعل؛ وبذلك يستحقون الثواب أو العقاب.

فإذا صبر الإنسان على ما أصابه به الله تبارك وتعالى من خوف أو جوعٍ، أو نقصٍ في الثمرات أو الأنفس، إلى غير ذلك أعطى الصبرُ نتائجَه؛ لأنّ لكلّ زرعٍ ثمراً، ولكلّ فعل ردّ فعل.

وأوّل نتائج الصبر هذا هي ما ذكرته الآية الأخيرة التي صدّرنا بها المجلس، وهي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

هذه الصلوات والرحمة تجعل هؤلاء على بصيرةٍ من أمرهم في مسيرتهم الحياتية المحفوفة بالمزالق والأخطار؛ لذلك تقول الآية: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2].

والنتيجة الثانية المترتبة على الصبر أيضاً: هي الراحة في دار الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة.

والنتيجة الثالثة: هي حبّ الله تبارك وتعالى للصابرين. قال تعالى: ﴿واللهُ يُحِبُّ

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٤ / ٦٤٥ رقم الكلمة ٩٣.

(٢) تفسير الأمثل ١ / ٤٤١.

الصَّابِرِينَ)[1].

والنتيجة الرابعة: هي كون الله تبارك وتعالى معهم. قال تعالى: (وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ)[2].

والنتيجة الخامسة: هي التحيّة من الله (عزّ وجلّ) والسّلام. قال تعالى: (سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)[3]. إلى غير ذلك من النتائج.

هذا فيض من غيضٍ، وقطرة من بحر متلاطم، وقليل من كثير من النتائج المترتّبة على التمسّك بالصبر، وإلاّ فالآيات عديدة والروايات كثيرة، وكثيرة جدّاً في الصبر وأجره، وما أعدّ الله للصابرين فقد تخرج عن حدّ الإحصاء.

منها ما روي عن نبي الله عيسى عليه السلام أنّه مرَّ برجلٍ أعمى وأبرص ومقعد مضروب الجنبين بالفالج، قد تناثر لحمه من الجذام، وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه.

فقال له نبي الله عيسى عليه السلام: يا هذا! وأيّ شيء من البلاء تراه مصروفاً عنك؟

فقال: يا روح الله، أنا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته.

فقال: صدقت، هات يدك. فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً، وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان به[4].

---

(١) سورة آل عمران / ١٤٦.

(٢) سورة الأنفال / ٤٦.

(٣) سورة الرعد / ٢٤.

(٤) مُسكنُ الفؤاد / ٨٧، وبحار الأنوار ٧٩ / ١٥٣ - ١٥٤.

هذا الرجل الذي سمعتم حكايته كان يحمد الله على معرفته به، لكن من المقطوع به لم يُصب كما أصاب الدهر صاحب المصيبة والرزية العظمى، حيث ورد عنه عليه السلام أنّه قال - بعد أن تفاقم الخطب أمامه في كربلاء، واستشهد أصحابه وأهل بيته -: «هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله»[1].

ما أعظمكم يا آل محمّدٍ! انظروا أنّه يقول - بأبي وأمّي! -: إنّ الذي خفّف عليّ هذه المصائب وهذه الرزايا والمحن هو كونها في منظر الله تبارك وتعالى، فهو يعلم بها ويحتسبها عنده ليوم لا ريب فيه.

ولكن يقول كما يقول جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله: «العين تدمع، والقلب يحزن، وإنّا بفراقِك يا إبراهيم لَمحزونون»[2].

وكذلك وإنّا بفراقك يا عليّ الأكبر لمحزونون، وخاصّة أنّه أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً بالنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فالحسين عليه السلام يوم عاشوراء - بالحقيقة - فقد النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما يعظم الخطب.

ولذا قالوا: إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام صار في حالة احتضار عند مصرع ولده عليّ الأكبر، زينب عليها السلام تعلم بأنّه إذا بقي الحسين عليه السلام عند مصرع ولده علي واضعاً خدّه على خدّ ولده سوف تفارق روحه الدنيا، فأرادت زينب عليها السلام أن تحافظ على حياة أخيها الحسين عليه السلام، وأن تشغله عن مصيبة ولده، فلمّا رأت ذلك خرجت من الخيمة تنادي: وا عليّاه! وا نور بصراه! وا ثمرة فؤاداه!

لما سمع الحسين عليه السلام صوت

---

(١) اللهوف / ٦٩، عنه البحار ٤٥ / ٤٦.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٨٥.

زينب قام إليها قائلاً: «أُخيّه زينب، ارجعي إلى الخيمة، لا تُشمتي بنا الأعداء».

ولكن زينب أقبلت حتّى رمت بنفسها على جسد علي الأكبر، وهي تنادي: وا علياه!

هـــوت فـــوگه تحـــب خـــدّه وتشـــمّه وغـــدت تصـــبغ وجههـــا ابفـــيض دمـــه

عـــسه ابـــعيد الـــبله تگلـــه يعمّـــه عـــله الـــتربان نايم لـــيش بالحـــر

بعد ذلك خرجت إليه أُمّه ليلى بعدما أتوا به إلى المخيّم، وقعت عليه، احتضنته، تشمه وتضمّه، أحطن به عماته وأخواته يبكينه ويندبن عليه، وكذلك حضر والده الحسين عليه السلام، وكأنّي به يخاطب ولده الأكبر عليه السلام:

يـــبويه اشـــلون مـــا تبچـــي الزچيـــه أوگطـــع يبـــني الـــدهر وصـــلك عليّـــه

يـــبويه جـــدّك أوجـــدّتك هـــيه اعتنـــوا يبـــني يعـــزّوني علـــى فگـــدك

يـــبويه يـــا لفجعـــني ابفگـــدك البـــين يا روحـــي اوچبـــدتي اوشـــوفت العـــين

اشـــحال أُمّـــك الظلّـــت بالصـــواوين تـــهل اعيونهـــا أُوتـــربي أعلـــه دربـــك

أمّا أُمّه ليلى فكأنّي بها تخاطبه:

گلـــبي إبيـــا ســـبب يبـــني وداعـــي تصـــد عـــنّي أولا تســـمع وداعـــي

أنـــا مـــا أطلـــب بحگـــي وداعـــي گلـــي أُوداعـــة الله أُوهـــاي هيّـــه

* * *

يا كوكبـــاً مـــا كـــان أقصـــر عمـــرَه وكـــذا تكـــون كواكـــبُ الأســـحارِ

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الثالث عشر

حسن الظنّ وسُوء الظنّ

المجلس الثالث عشر

حسن الظن وسُوء الظن

أيــــطيبُ عـــيشي بعـــدَ وقعـــةِ كـــربلا ... وأكـــــونُ فيـــــما أرتـــــديهِ أنـــــيقا

وأذوقُ طـــــعمَ الـــــماءِ وابـــــنُ محمّـــــدٍ ... مـــــا ذاقَـــــهُ حـــــتّى الـــــحمامَ أُذيـــــقا

لا عـــــذرَ لـــــلشيعيّ يـــــرقى دمـــــعُه ... ودمُ الحـــــسينِ بـــــكربلاءِ أُريـــــقا

فـــــيكَ اســـــتُبيحَ حـــــريمُ آلِ مـــــحمّد ... وتمـــــزّقتْ أسبـــــابُهم تمـــــزيقا

قـــتلوا الحســـينَ وروّعـــوا قلـــبَ الهُـــدى ... ظُلـــــماً وفُـــــرّقَ شـــــملُه تـــــفريقا

تركـــــوهُ عـــــارٍ بـــــالفلاةِ وأقـــــبلوا ... نحـــــو الـــــمخيّمِ ألـــــهبوه حـــــريقا

لـــــهفي لـــــزينبَ بـــــعدَ فـــــقدِ حُماتِهـــــا ... قطعـــــتْ مـــــعَ الخصـــــمِ المشـــــومِ طريقـــــا[1]

---

(١) الأبيات الأربعة الأولى للشاعر محمّد السوسي ذكرها العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار ٤٥ / ٢٤٥، مع تغيير في بعض الكلمات، وما عداها فهي لأُستاذنا الشيخ محمّد سعيد المنصوري رحمه الله، ذكرها في ميراث المنبر / ٦٧ الطبعة الحديثة. قال السيد جواد شبّر رحمه الله في أدب الطفّ مترجماً للشاعر السوسي: الأمير أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد السوسي، توفي في حدود سنة ٣٧٠، ودُفن بحلب. كان فاضلاً أديباً كاتباً بحلب، وسافر إلى فارس، ثمّ عاد إلى محلّه. ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء في شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهرين... والسوسي نسبة إلى السوس: كورة بالأهواز فيها قبر دانيال عليه السلام، معرب شوش، وبلد بالمغرب، وبلد آخر بالروم. (أدب الطفّ ٢ / ١١٩). وأما شيخنا الأُستاذ المنصوري فهو الخطيب الكبير، وشيخنا وأُستاذنا محمّد سعيد ابن الشيخ موسى المنصوري. ولد في النجف الأشرف، ثمّ هاجر إلى إيران في حدود الستّينيات، وسكن مدينة عبادان، وبقي ينتقل بينها وبين البصرة وبقية محافظات العراق إلى زمان مجيء زمرة البعثيين المجرمة، ثمّ انتقل إلى مدينة قم المقدّسة في سنة ١٩٨٠ م. تلمذ على يد مجموعة من فطاحل الخطابة، أمثال أُستاذه المرحوم السيد محمّد سعيد العدناني الغريفي. لأُستاذنا المنصوري حسّ شعري رائع، وخطابة حسينية فريدة، ونغمة حنين نادرة، وعبرات وآهات تبكي صمّ الصخور قبل رقائق القلوب. انتقل إلى رحمة الله وإلى جوار مَنْ أحبّهم وندبهم ورثاهم وبكى عليهم ليلاً ونهاراً، إلى جوار رسول الله وآله الأطهار إن شاء الله تعالى، وذلك في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الأوّل عام ١٤٢٨ هـ ق، فشُيّع تشييعاً مهيباً من قِبل العلماء وطلاب العلم وطلابه، ودُفن في مثواه الأخير بجنب ولده الخطيب المرحوم الشيخ عبد الحسين المنصوري الذي سبقه إلى القضاء، فتركه بحسرةٍ شديدة، وألمٍ لطالما قرأتُه على صفحات محيّاه، وذلك في قم المقدّسة في مقبرة (باغ بهشت). للشيخ المنصوري رحمه الله أسفار تبليغية في شتّى بقاع العالم الإسلامي؛ فقد سافر إلى الكويت، والبحرين، وقطر، وعمان، والإمارات، وسوريا، ولبنان، فضلاً عن العراق وإيران وغيرها من الدول الأُخرى.

ترك آثاراً خالدة وصدقات جارية، منها: تدريسه ثلّة من الخطباء وخدمة المنبر الحسيني، وترك مؤلّفات قيّمة في الشعر والأدب، منها: (مفاتيح الدموع)، و(ميراث المنبر)، و(مصابيح المنبر)، و(ديوان السعيد)، و(تحفة الفن)، و(خلاصة مقتل الحسين). فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم مات يلهج بذكر أبي عبد الله الحسين عليه السلام ويوم يبعثُ حياً.

وكأنّي بها تخاطب حماتها، وهم مجزّرون كالأضاحي:

أنـــه أمشـــيت درب المـــا مشـــيته وچتـــــال أخـــــيّ رافگيـــــته

مـــــن جـــــلّت الـــــوالي نخيتـــــه شـــــتم والـــــدي وانكـــــر وصـــــيته

* * *

ولسان حالها:

بـــس مـــا غبـــت وكفيـــت يحســـين عـــــن كربلـــــه صـــــرنه مضـــــعنين

خـــــذوني يســـــيره وتـــــدمع العـــــين ومـــــدري وجـــــوه الگـــــوم لا ويـــــن

لـــــلكوفة يـــــو لـــــلشام ناويـــــن والـــــدرب تـــــدري يريـــــد لـــــه اثنـــــين

أنـــــصار يـــــو إخـــــوة المبينـــــين ولـــــويّاي مـــــا غـــــير النســـــاوين

أبـــــاري الضـــــعن مـــــاليش تمكـــــين عـــــاد أرضـــــه والله يـــــريحني البـــــين

* * *

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

ينقسم الظنّ كانقسام أوّلي إلى قسمين، هما: حُسن الظنّ وسوء الظنّ.

ولا شك في أنّ الأوّل منهما راجح شرعاً وعقلاً، ولا غبار عليه، بل هو من صفات المؤمنين المخلصين. وهذا الحُسن - أعني حسن الظنّ - لا يختص بحسن ظنّ إنسان بآخر، بل هو يشمل حتّى حُسن الظنّ بالله تبارك وتعالى، حتّى روي أنّ الله سبحانه وتعالى يقول: «أنا عند حسن ظنِّ عبدي المؤمن؛ إنْ خيرٌ فخير، وإنْ شرٌّ فشرّ»[2].

فمن هنا كان ينبغي على كلّ مؤمن أن لا ييأس من رحمة الله، ولا يظنّ أنّ الله لا يرحمه، وأنّه يعذّبه، وأنّ ما يُصيبُ الإنسان في الدنيا من المصائب والأمراض والفقر هو شرّ له وعقوبة، بل ينبغي أن يعلم أنّ الله أرحم من والديه به، وما يُصيب الإنسان من المصائب هو خير له وصلاح وذخيرة له في يوم المعاد.

رأى بعضهم في المنام صاحباً له على أحسن حال، فقال: بأيّ شيءٍ نِلتَ هذا؟ فقال: بحسنِ ظنّي بربّي، وما ينال أحدٌ خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن الظنّ بالله تعالى.

وكذلك لا يظنّ السوء بالمسلمين، ويفسّر كلّ عمل منهم تفسيراً غير صحيح، بل يجب عليه أن يُفسّر تصرّف الناس على أحسن الوجوه إلاّ إذا

---

(١) سورة الحجرات / ١٢.

(٢) بحار الأنوار ٦٧ / ٣٨٥ - ٣٨٦، ح٤٤.

كان متيقّناً ومتأكّداً من فعل يتطلّب منه أن يفسّره بتفسير واقعي؛ حفاظاً على حقوق الناس[١].

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «اطلُب لأخيك عذراً، فإن لم تجد له عُذراً فالتمس له عُذراً»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ضع أمرَ أخيك على أحسنه حتّى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنّنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[٣].

ويجب على الإنسان أن لا يضع نفسه في موضع التهمة، ثمّ يعترض على الناس حيث يظنّون به سوءاً، فمَنْ صدّق المُفسدين وجالسهم سوف يظنّ به سوءاً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ومَنْ عرض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساء به الظنّ»[٤].

في أوّل الأمر نلفت الانتباه إلى التفريق بين الشك والظنّ والعلم، فنحن تارةً نصف إنساناً ما بأنّه شاك، وأُخرى بأنّه ظانّ، وثالثة بأنّه عالم بالأمر الكذائي، فما هو الفرق؟ وما هو المناط والمبرر لإمكانية وصف الإنسان بأحد هذه الصفات؟

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلاميّة / ٤٦٩.

(٢) الخصال / ٦٢٢.

(٣) الكافي ٢ / ٣٦٢، باب التهمة وسُوء الظنّ، ح٣.

(٤) نهج البلاغة ٤ / ٤١، ح١٥٩.

فالشك: هو استواء كفّتي الاحتمالين إثباتاً ونفياً.

والظنّ: بترجيح كفّة أحدهما على الآخر مع بقاء الطريق مفتوحاً للذي خفّ ميزانه.

والعلم: تعيين أحدهما مع سدِّ الطريق على الآخر من الأساس.

وقد تظنّ بإنسان خيراً أو شرّاً، وقد تكون مُصيباً في ظنّك أو مخطئاً، ولا بأس عليك إطلاقاً في حسن الظنّ بأخيك؛ أصبت أو أخطأت، ظهر أثر ذلك في أقوالك أو أفعالك أو لم يظهر.

فإذا صدر من الإنسان عمل من الأعمال، أو قول من الأقوال يمكن حمله على وجه صحيح وعلى وجه فاسد، فهل يحمل على الصحة أو على الفساد، أو يجب التوقف وعدم الحكم بشيءٍ إلاّ بدليل قاطع؟

ومثال ذلك: أن ترى رجلاً مع امرأة لا تدري هل هي زوجته أو أجنبية عنه، أو تسمع كلاماً وأنت لا تدري هل أراد به المتكلّم النيل منك أو لم يرد ذلك، فما هو الحكم حينئذ؟

والجواب: هو أنّه قد اتفق الفقهاء على وجوب الحمل على الصحة في ذلك وأمثاله.

وهذا مبدأ إنساني بحت؛ لأنّه يُكرّس كرامة الإنسان، ويؤكّد علاقة التعاون والتعاطف بين الناس، ويبتعد بهم عمّا يثير الكراهية والنفور.

وبهذا يتبيّن أنّ الإسلام لا يقتصر على العقيدة والعبادة، وأنّه يهتم بالإنسانيّة وخيرها، ويرسم لها الطرق التي تؤدّي بها إلى الحياة المثمرة الناجحة.

ثمّ إنّ الجملة قالت: ﴿كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾، ولم تقل كلّ الظنّ، فما هو السبب في ذلك؟

السبب يرجع إلى أنّ (كلّ) من صيغ العموم، تشمل حسن الظنّ وسوء الظنّ. بخلاف كلمة كثير، فقد تستعمل بمعنى بعض وبمعنى معظم، وهذا هو المراد بكلمة كثير في الآية، والقصد هو حصر موضوع الآية ودلالتها بسوء الظنّ.

وسوء الظن من حيث هو، ودون أن يظهر أثره في قول أو فعلٍ ليس بجرم، وصاحبه غير مسؤول عنه؛ لأنّ الإنسان لا حرية له في ظنونه وتصوّراته، ولكن عليه أن لا يُعوّل على ظنّ السوء، ويعتبره كأنّه لم يكن، وإذا عوّل عليه وظهر أثر ذلك في قول أو فعل كان مسؤولاً ومستحقاً للذمّ والعقاب. وهذا هو الظنّ الذي أراده سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

قال الرسول الأعظم ﷺ: «ثلاثة لا يسلم منها أحدٌ؛ الطيرة، والحسد، والظنّ، فإذا تطيّرت فامضِ، وإذا حسدت فلا تبغِ، وإذا ظننت فلا تحقّق»[1].

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ لا تعولّوا عليه ولا تعملوا به[2].

ولذا تجد بعض الناس بمجرّد أدنى احتمال يُرتّب الأثر عليه، والبعض الآخر يتوقّف ولم يقل شيئاً إلى أن يتّضح الأمر، والبعض أكثر من ذلك، بل

---

(١) ميزان الحكمة ٣ / ٢٣٥٤، ونسبه إلى العامة.

(٢) آيات منتخبة من القرآن الكريم / ٢٤٣ - ٢٤٥.

يحمل عمل الإنسان الآخر على الصحة.

جاء رجلان إلى أحد المراجع؛ أحدهما يحمل أموالاً إلى هذا المرجع، والآخر جاء ليطلب المساعدة من هذا المرجع، وبينما هما خارج استقبال المرجع سأل الفقير الرجل الآخر عن سبب مجيئه، قال الرجل الذي جاء بالحقوق الشرعية: جئت لأعطي هذه الأموال من الحقوق إلى المرجع الديني.

قال الرجل الفقير في نفسه: نعم، أتركه يدخل فإذا دخل هذا الرجل وأعطى الأموال لهذا المرجع أدخل بعده وأشكو حالي له، وأقول: إنّي فقير ومحتاج.

دخل الرجل صاحب الأموال إلى هذا المرجع وبقي الآخر خارج الاستقبال، ولم يعرف ماذا حصل بعد ذلك. بعد فترة دخل الرجل الفقير إلى استقبال هذا المرجع الربّاني، وقال له: مولانا، أنا رجل محتاج وفقير، وجئت للمساعدة من الحقوق التي عندكم.

قال المرجع: عَلِم الله أنّه ليس عندي من الحقوق لا قليل ولا كثير منها.

تعجّب هذا الرجل وقال في نفسه: عجباً! الآن دخل هذا الرجل قبل قليل وهو يحمل حقوقاً شرعية إليه، والآن يقول لي: ليس عندي من الأموال لا قليل ولا كثير!

بقي هذا الرجل في حيرةٍ من أمره، أيكذّب الرجل أم يكذّب المرجع أم نفسه أم ينتظر إلى أن يتأكّد من الأمر لعلَّ الله يُحدثُ بعد ذلك أمراً.

مضت فترة عليه، وبعد أيام من هذه الحادثة صادف ذلك الرجل الذي كان قد جاء لإعطاء الحقوق، وسأله عن القصّة قائلاً له: ألم تقل في اليوم الذي التقينا فيه بأنّك جئت بحقوق شرعية إلى ذلك المرجع؟

قال: بلى قلت ذلك، وكنت صادقاً.

قال الرجل الفقير: ولكنّني حدث معي أمر عجيب.

قال: وما هو؟

قال الرجل الفقير: دخلت بعدك بفترةٍ وجيزة وطلبت من المرجع شيئاً يساعدني به، فقال لي: ليس عندي من الأموال والحقوق لا شيء قليل ولا كثير.

قال الرجل صاحب الأموال: صدق الرجل المرجع.

قال الفقير: وكيف ذلك؟!

قال: لأنّي في ذلك الوقت ما أعطيته الأموال؛ لأنّني وجدت عنده مجموعة من الضيوف وما أحببت أن أُزاحمه في هذا الوقت، فخرجت ورجعت في يوم آخر وأعطيتُه الأموال.

فلو لاحظنا هذه القصة وتأمّلنا فيها قليلاً لعرفنا مدى وأهمية التحقيق، ومع هذا فإنّ الرجل الفقير لم يُرتّب الأثر، ولعلّه لتقواه، ولكن ترى البعض منّا يشهّر بالأمر إلى درجة تصل إلى السبّ والشتم والنيل حتّى من العرض، وهذه مشكلة الإنسان قديماً وحديثاً.

وهناك قصص عديدة لو أردنا استعراضها لطال بنا المقام، لكنّ العاقل المتديّن والحرّ تكفيهما الإشارة.

ولا شك أنّ الظنّ بمثل هؤلاء المتدينين يكون أكثر إشكالاً من غيرهم؛ لأنّنا نعتبرهم قادةً لنا، ونرجع إليهم، ونجعلهم الأمناء على الدين. والإنسان الذي نجعله أميناً على ديننا من الأولى أن لا نتّهمه في دنيانا، فما قيمة الأموال حتّى نتّهم فيها مَنْ نأخذ منه الأحكام الشرعية.

ولكنّ بعض الناس من الفسقة الفجرة لا تشملهم هذه الآية، فلنا أن نظنّ بهم مثل ما ظهر منهم.

فهؤلاء الذين باعوا دينهم للشيطان، واستغلّوا هذا المبدأ الإنساني الذي ذكرناه، وهو الحمل على الصحة، وجاؤوا به ليبرّروا عمل الظالمين والقراصنة فإنّ مبدأ الحمل على الصحة لا ينطبق على أعمال السلب والنهب، والاحتيال والتضليل، وما إلى ذلك ممّا نعلم عِلمَ اليقين أنّه من المحرّمات والموبقات، وإنّما ينطبق على ما يُحتمل فيه الصدق والكذب، والصحة والفساد[1].

فهل يُمكن لأيّ إنسان عاقل في أن يتوقّف بظنّه تجاه بني أُميّة وبني العباس ماذا صنعوا بآل البيت عليهم السلام ؟!

تـــباً لهـــم مـــن أُمّـــةٍ لم يحفظـــوا عـــهدَ الـــنبيّ بـــآلهِ الأمجـــادِ

قـــد شـــتتوهم بـــين مأســـور ومقـــ ـــهورٍ ومنحـــورٍ بســـيفِ عنـــادِ

فلم يتركوا منهم أحداً لا كبيراً ولا صغيراً حتّى الطفل الرضيع.

جاءت الحوراء زينب عليها السلام إلى أخيها الحسين عليه السلام تحمل عبد الله

---

(١) آيات منتخبة من القرآن الكريم / ٢٤٤.

الرضيع عليه السلام، فدفعته إليه وهي باكية، قالت: أخي، خُذ طفلك.

قيل: فأجلسه في حجره يُقبّله، ويقول: «بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدُّك المصطفى خصمُهم!».

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء قائلاً: «يا قوم، قد قتلتم إخوتي وأولادي وأنصاري، وما بقي غير هذا الطفل، وهو يتلظّى عطشاً من غير ذنب أتاه إليكم، فاسقوه شربة من الماء».

فاختلف العسكر فيما بينهم؛ منهم مَنْ قال: إذا كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الطفل؟ ومنهم مَنْ قال: اقتلوه، ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقية.

فلمّا رأى ابن سعد ذلك صاح بحرملة: ويلك يا حرملة! اقطع نزاع القوم.

قال: فما أصنع؟

قال: ارمِ الطفلَ بسهم.

قال حرملة (لعنه الله): فرأيت رقبته تلمع على عضد أبيه الحسين عليه السلام، فرميت الطفل بسهمي فذبحته من الوريد إلى الوريد، فلمّا أحسَّ الطفل الرضيع بحرارة السهم أخرج يديه من القماط واعتنق أباه، وجعل يرفرف كالطير المذبوح.

فملأ الحسين عليه السلام كفّه من دمه ورمى به نحو السماء قائلاً: «اللّهمّ، لا يكن أهون عليك من فصيل ناقة صالح»[1].

---

(١) مجمع المصائب ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

تـــــلگه احســـــين دم الطفـــــل بيـــــده اشـــــحال اليچتـــــل ابحضـــــنه وليـــــده
ســـــال أُوتـــــرس چفـــــه مـــــن وريـــــده أُوذبّـــــه للســـــمه وللگـــــاع مـــــا خـــــر
أويـــــلي مـــــن لفـــــت ســـــكنه تنـــــادي يبويـــــه العطـــــش هالفتـــــت افـــــادي
صـــــدّت لـــــن أُخوهـــــا الطفـــــل غـــــادي يـــــلوّح رگبـــــته أُودمّـــــه يفـــــوّر
يبويـــــه ذاب چبـــــدي أُوچبـــــدة أُمّـــــه دخلّـــــيني أودعـــــنَّه وشـــــمّه
يـــــبويه لـــــيش مـــــا تســـــجيه دمّـــــه بـــــلچن چبدتـــــه تـــــبرد مـــــن الحـــــر
يخويـــــه عـــــون مـــــن حبَّـــــك أُوشمّـــــك يـــــخويه عـــــون مـــــن راواك لمّـــــك
لـــــغسلنَّك يخويـــــه ابفـــــيض دمّـــــك أُوگـــــبرك بالگلـــــب يا خويـــــه لحفـــــر

وأمّا حال أُمّه الرباب:

ردّوك يبـــــني ابســـــهم مفطـــــوم يالرحـــــت عـــــن المـــــاي محـــــروم
بـــــعدك لـــــحرّم لـــــذّة النـــــوم واصـــــبغ يعگلـــــي ســـــود الهـــــدوم

وابچي عليك ابگلب مالوم

* * *

ورُبَّ رضـــــيعٍ أرضـــــعته قِســـــيُّهم مـــــنَ النبـــــلِ ثـــــدياً دُرُّه الثـــــرُّ فاطمـــــه

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

المجلس الرابع عشر

التقوى

المجلس الرابع عشر

التقوى

لستُ أنساهُ مُفرداً بين جمعٍ ... أبرزوا فيه كامِنَ الأحقادِ

يحطمُ الجيشَ رابطَ الجأشِ حتّى ... صَبغَ الأرضَ مِنْ دماءِ الأعادي

لم يزلْ يحصدُ الرؤوسَ بعضبٍ ... أبداً للدماءِ في الحربِ صادي

وإذا بالنداءِ عجّل فلبّى ... وهوى للسجودِ فوقَ الوهادِ

عجباً للسماءِ لم تهو حزناً ... فوقَ وجهِ البسيط بعد العمادِ

عجباً للمهادِ كيف استقرتْ ... ونظامِ الوجود تحت العوادِي

عجباً للنجومِ كيف استنارت ... لم تغبْ بعد نورِها الوقّادِ

حيثُ لولا وجودُهُ لأُهيلت ... ولساختْ وبُرقِعت بسوادِ

ومُثيرُ الأشجان رزءُ الأيامى ... مُذ وعت بالصهيل صوت الجوادِ

برزت للقاء تعثر في الذّلِّ ... ودامي الدموعِ شبهُ الغوادي

فرأت سرجَهُ خلياً فنادت ... تلك وا والدي وذي وا عمادي

وغدت ولهاً بغير شعورٍ ... نحو مثوى بقيّة الأمجادِ

فرأت في الصعيد مُلقىً حماها ... هشّمت صدرهُ خيولُ الأعادي

فدعت والعيونُ عبرى وفي الـ ... ـقلبِ لهيبٌ من الأسى ذو اتقادِ

أحمى الضايعاتِ بعدكَ ضِعنا ... في يدِ النائباتِ حسرى بوادي

أوَ ما تنظرُ الفواطمُ في الأسر ... وستر الوجوه منهُ الأيادي

ثُكّلاً ما ترى لها من كفيلٍ ... حسّرىً بين عُصبةِ الإلحادِ

ثمّ تدعو فما ترى من مجيبٍ ... لِنداها غيرَ الصَّدى في الوادي[1]

* * *

(١) القصيدة للشيخ عبد الحسين شكر ﵀، وقد تقدّمت ترجمته في المجلس الثامن.

تـــــصيح بصـــــوتها يحســـــين وينـــــك جـــــاوبني وصـــــد لـــــيَّ ابعينـــــك
يـــــخويه ذاب گلـــــبي مـــــن ونينـــــك يخويـــه مـــا هـــو كلـــبي صـــخر مرمـــر

* * *

نادهـــــا ابضـــــعيف الصـــــوت يخـــــتي مهـــو حچـــيچ كســـر گلـــبي دســـكتي
يـــــنور العـــــين خلّيـــــني ابمهجـــــتي أعـــــالجها تـــــرى گلـــــبي تمرمـــــر

* * *

يخويـــه يابـــس امـــن العطـــش چبـــدي يخويـــه والشـــمس حرّگـــت خـــدّي
يخويـــه والترابـــه احرگـــت زنـــدي دفيليلـــي بطـــرف ثـــوبچ عـــن الحـــرّ

* * *

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللهَ﴾[1].

التقوى: معناها أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك[2].

وبمعنى آخر: هي الخشية والخوف من الله (عزّ وجلّ)، وهو أيضاً اتقاء ما يجرّ الإنسان إلى النار بالامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، بالتخلّي عن كلّ رذيلةٍ، والتحلّي بكلّ فضيلةٍ.

ومن هنا جعل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الكفّ عن المحارم ثمرة الدين، وذلك عندما قال صلى الله عليه وآله: «جاءني حبيبي جبرئيل وقال: يا أحمد، إنّ مثلَ هذا الدين كمثل شجرةٍ ثابتة؛ الإيمان أصلها، والصلاة عروقها، والزكاة ماؤها، والصوم سعفها، وحسن الخلق ورقها، والكفّ عن المحارم ثمرها، فلا تكمل الشجرة إلاّ بالثمر، كذلك الإيمان لا يكمل إلاّ بالكفّ عن المحارم»[3].

وروي أنّ رجلاً استوصى رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله - ضمن كلام -: «وقد أجمع الله ما يتواصى به المتواصّون من الأوّلين والآخرين في خصلةٍ واحدةٍ وهي التقوى، قال الله (عزّ وجلّ): ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللهَ﴾، وفيه جماع كلّ عبادةٍ صالحةٍ، وبه وصل مَنْ وصل إلى الدرجات العلى والرتبة القصوى، وبه عاش مَنْ عاش بالحياة الطيّبة والأنس الدائم، قال الله (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ

---

(١) سورة النساء / ١٣١.

(٢) انظر بحار الأنوار ٦٧ / ٢٨٥ حيث فسّرها الإمام الصادق عليه السلام بهذا المضمون.

(٣) بحار الأنوار ٦ / ١٠٩.

وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ»)[1].

ثُمَّ إنّ المراد بالآية أنّ الأمر بتقوى الله شريعة عامة لجميع الأُمم، لم يلحقها نسخ ولا تبديل، بل هو وصية الله في الأوّلين والآخرين[2].

فالوصية بتقوى الله أمر ضروري بحيث أكّدت الآية أنّ اليهود والنصارى، وكلّ مَنْ كان له كتاب سماوي قبل المسلمين قد طُلب منهم جميعاً كما طُلب مِنكم أيّها المسلمون مراعاة التقوى.

فهذه الآية على غرار بعض الآيات الأُخرى التي تُشير إلى ثبوت بعض الأحكام في الشرائع السابقة، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[3].

وللتقوى درجات متعدّدة تختلف باختلاف قوّة الإنسان وضعفه، فنجد البعض من الناس له من التقوى ما يُؤدّي به إلى الاجتناب عن كلّ ما يلزم ويؤدّي بعمله إلى الفساد، ونجد البعض منهم يجتنب عن كُلِّ شبهة لاحتمال وجود الفساد فيها، والبعض الآخر يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، ونجد البعض منهم يملك من مراتب التقوى الدرجات العليا؛ فيجتنب عن

---

(١) تفسير البرهان ٢ / ٣٣٩ ذيل آية ١٣١ من سورة النساء.

(٢) التفسير الكبير ١١ / ٧٠.

(٣) سورة البقرة / ١٨٣.

كلّ ما ليس لله تبارك وتعالى.

والله سبحانه وتعالى يُعطي من الأجر على قدر مرتبة التقوى عند الإنسان، فالتقوى التي يمتلكها بعض العلماء كالشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ - صاحب المصنّفات الدقيقة التي ربّت مئات العلماء، بل عشرات المئات - هي من النوع العالي، بل العالي جدّاً.

في أحد الأيام جاءه إنسان وقال له: شيخنا لقد رأيت البارحة في المنام عجباً.

قال له الشيخ: ما رأيت؟

قال الرجل: لقد رأيت الشيطان وعلى رأسه قلنسوة ملوّنة بألوانٍ مختلفة، ورأيتُ بيده حبالاً غليظة، وحبالاً دقيقة، وسلاسل من حديد طويلة وقصيرة، ورأيت سلسلةً طويلة مقطّعة في سبع مواضع منها. فتقدّمت إليه وقلت له: ما هذه الألوان التي تحملها معك؟ وما هذه الحبال والسلاسل التي بيدك؟

قال الشيطان: هذه هي مصائدي التي أصيد بها الناس، وأجرّهم بها إلى المهالك؛ فإنسان يأتيني باللون الأحمر، وآخر باللون الأخضر، وثالث باللون الأزرق، ورابع لا أتمكن أن أجرّه بالألوان فأجرّه بالحبال الدقيقة، وآخرون بالحبال الغليظة، وآخرون من الزهّاد والعبّاد والعلماء بالسلاسل القصيرة والطويلة.

قال الرجل: فقلت له: فما هو اللون الذي تجلبني به؟ وأين الحبل الذي

تسحبني بسببه؟

فقال الشيطان: إنّك وأمثالك لا تحتاجون إلى حبال، ولا إلى ألوان، وإنّما أجلبكم بإشارة خفيفةٍ.

فسأله الرجل قائلاً: وما هذه السلسة المقطّعة في مواضع متعدّدة منها؟

قال الشيطان: إنّها سلسلة الشيخ مرتضى، فإنّي قد جذبته ليلة البارحة سبع مرّات بهذه السلسلة، وهي أغلظ سلاسلي وأطولها، وفي كلّ مرّةٍ يقطع الشيخ السلسلة تقطيعاً، ويصرعني وينفلت من حبائلي، والآن أنا آيس منه، ومتحيّر ماذا أصنع معه.

فلمّا انتهى ذلك الرجل من نقل منامه إلى الشيخ، تبسّم الشيخ وقال: الحمدُ لله ربّ العالمين.

ثمَّ قال الشيخُ: نعم، لقد كان من قصّتي البارحة أنّ زوجتي أخذها الطلق وألم المخاض والولادة، ولم يكن عندنا في البيت شيء يُكتفى به لأجل هذا الأمر، ففكّرت ماذا أصنع في أمرها، فتذكّرت بأنّ هناك أمانة كانت لأحد الناس قد أودعها عندي، ويمكنني التصرّف فيها بالفحوى؛ فإنّه وإن لم يصرّح لي بالإذن في التصرّف فيها إذناً صريحاً، لكن ظاهر حاله أنّه يأذن لي إذناً فحوائياً بالتصرّف فيها، ثمّ إرجاعها بعد الوسع إلى مكانها، ومن جهة ثانية كنت مضطراً في الاستفادة منها.

وعلى ذلك عزمت على التصرّف في المال، وقمت لآخذه حتّى أتصرّف فيه، لكنّي رجعت وقلتُ: لعلّ الله يُيّسرُ الولادة بدون حاجة إلى التصرّف في هذا المال.

ثمّ بعد مدّة عاودتني الفكرة من جديد، فعزمت ثانية على التصرّف في المال لكنّي رجعت أيضاً دون أن آخذ المال، وفي مرّة ثالثة عاودتني الفكرة وعزمت من جديد على أخذ المال والتصرّف فيه لكنّي رجعت للمرّة الثالثة وانصرفت عن عزمي، وهكذا تردّدت إلى سبع مرّات.

ثمّ عزمت أخيراً على غض النظر عن المال والانصراف عن التصرّف فيه، حتّى إذا كان قريباً من الفجر سهّل الله سبحانه وتعالى على المرأة أمر الولادة فولدت بسلامة وعافية من دون حاجة إلى أن آخذ من المال شيئاً.

فهذا نوع من أنواع التقوى، لكن من أعلى مراتبها وأنواعها، وهو ترك ما لا بأس به خوفاً من الانجرار إلى ما به البأس؛ ولذا ترى أنّ الباري (عزّ وجلّ) رتّب وجعل نتائج على التقوى.

وأوّل هذه النتائج هو المخرج والرزق من دون احتساب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[1].

ومن نتائج التقوى أنّ الله تبارك وتعالى يجعل للإنسان فرقاناً، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّه يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[2].

والفرقان على ما جاء في كلام المفسّرين: هو بمعنى الشيء الذي يفصل بين الحقّ والباطل[3].

ومن نتائج التقوى العزّ والهيبة على ما جاء في كلام مولى الموحّدين أمير المؤمنين (عليه صلاة المصلّين) أنّه قال: «مَنْ أراد عِزّاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سُلطانٍ،

---

(١) سورة الطلاق / ٢ - ٣.

(٢) سورة الأنفال / ٢٩.

(٣) تفسير الأمثل ٥ / ٤٠٥.

فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[1].

ومن نتائج التقوى تعليم الله للمتقين وإلهامه لهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾[2].

ومن نتائج التقوى أيضاً إتيان الله لصاحبها الرحمة والنور، قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾[3]. والعلم في الآية الأولى هو نفسه النور في الآية الثانية. وأمّا الشرط هو نفسه الأمر بالتقوى.

والناس المتقوّن لا يختلف عندهم الحال؛ سواء في السرّاء أو الضرّاء؛ ولذا لما صار الظهر من يوم عاشوراء ولم يبقَ من أصحاب الحسين عليه السلام إلاّ القليل وبقيّة أهل بيته، التفت إليه ذلك العبد الصالح المتقي، المحبّ لله ولرسوله ولإمامه.

انظر ماذا يريد في التفاتته هذه، قال: يابن رسول الله، إنّ العدو قد اقترب مِنك، وإنّك لا تُقتل حتّى نُقتل دونك، وأحبّ أن أُصلّي معك هذه الصلاة وقد دنا وقتها.

فرفع الحسين عليه السلام طرفه نحو السماء، ونظر إلى الشمس وقد زالت، فقال عليه السلام: «ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين. نعم هذا أوّل وقتها، فسألوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي».

---

(١) ورد بألفاظ أُخرى. انظر خصائص الأئمّة / ٩٩، بحار الأنوار ٤٤ / ١٣٩ وغيرها.

(٢) سورة البقرة / ٢٨٢.

(٣) سورة الحديد: ٢٨.

فرفض العدو، وصاح الشمر (لعنة الله عليه): يا حسينُ، إنّها لا تقبلُ صلاتُك.

فقال له حبيب: أزعمت لا تقبل صلاة ابن رسول الله وتُقبل صلاتك؟!

فوقف الحسين عليه السلام يُصلّي، صلّى صلاة الظهر بعد أن أوقف رجلين من أصحابه أمامَه مواجهين للعدو؛ ليدرؤوا السهام عنه؛ لأنّ العدو ما كفّ عن رشق الحسين عليه السلام بالسهام.

فوقف سعيد بن عبد الله الحنفي (رضوان الله عليه) أمام الحسين عليه السلام يتلقّى السهام بصدره وبنحره إلى أن صلّى الحسين عليه السلام، فلمّا فرغ عليه السلام من الصلاة سقط سعيد بن عبد الله إلى الأرض وفيه ثلاثة عشر سهماً، سقط وهو يجود بنفسه، فقال للحسين عليه السلام: سيدي، أوفيت؟ هذا يكفي ما قاتلت بين يديك؟

فقال الحسين عليه السلام: «نعم، أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ جدّي رسول الله عنّي السّلام، وقل له: إنّي تركت الحسين وحيداً فريداً».

وصلّى الحسين عليه السلام صلاة الظهر صلاة الخوف بأهل بيته وبمَنْ بقيَ من أصحابه، ولكن هل صلّى صلاة المغرب والعشاء؟

نعم، صلاها في أوّل وقتها، وطالت صلاته ولكن على وجه الأرض، خدّه على وسادة التراب.

اختلف العسكر في حالة الحسين عليه السلام هل هو حيّ أم ميت؛ لأنّه لا حراك فيه، فيخافون أن يدنوا منه، فصاح عمر بن سعد (لعنه الله): إذا أردتم أن تعرفوا حال الحسين هل هو حيٌّ أم ميّت فاهجموا على نسائه وعياله؛ لأنّه إذا سمع صراخ الأطفال لا يتمالك نفسه. فهجم الجيش نحو خيم الحسين عليه السلام.

خرجت زينب عليها السلام،

وقفت على التل، صاحت: نور عيني يا حسين، يابن أُمّي يا حسين، عزيزي يا حسين، إن كنت حيّاً فأدركنا؛ فهذه الخيل قد هجمت علينا، وإن كنت ميّتاً فأمرك وأمرنا إلى الله.

ما هي إلاّ ساعات وإذا بها تنظر إلى رأس أخيها الحسين عليه السلام، صاحت: وا أخاه! وا حسيناه!

لـــمّن شـــافته صـــفگت بـــديها وشـــگّت ثـــوبها ويـــلي عـــليها
مـــا تـــنلام مـــن شـــافت وليهـــا فـــوك الـــرمح راســـه ايلـــوح بالـــبر
ســـالت عـــينها بـــدموعها عليـــه وشـــالت راســـها وتـــلتفت ليـــه
خـــفگَ ويلـــي گلبهـــا وأُومـــت عليـــه وصـــاحت باچيـــه ابصـــوت المـــذعّر
يـــشيّال راس حامينـــه وولينـــه ريّـــض خـــلّي اتـــودعه اســـكينه
لـــيش احســـين ســـاكت عـــن ونينـــه گلـــي تـــعب يـــو جرحـــه تخـــدّر
يـــا شـــيّال نعـــش المـــات مظلـــوم علـــه الشـــاطي وعـــن المـــاي محـــروم
تـــحوم گلوبنـــا فـــوگ الـــنعش حـــوم خـــوي الطـــاح مثـــل الـــنجم مـــن خـــر

(تغريد الحزين):

إنعمـــــت عيـــــني ولا شـــــوفك ذبـــــيح ويجـــــري دم نحـــــرك
وأصـــــحابك وأهـــــل بيتـــــك ضـــــحايه مطرّحـــــه إبكـــــترك
عســـــاها اتعگـــــرت هلخيـــــل ولا داســـــت علـــــى صـــــدرك

* * *

بـــعد الـــذبح يـــا خويـــه داســـوك ولا راعـــوا لـــعد جـــدّك ولا بـــوك
چنت ذخري وتحت الخيل خلوك

* * *

فـــو علمـــت تلـــك الخيـــولُ كأهلهـــا بأنَّ الـــذي تحـــت الســـنابك أحمـــدُ

لثـــارت علـــى فرســـانها وتمـــرّدتْ علـــيهم كمـــا ثاروا بهـــا وتمـــرّدوا

* * *

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيَّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلام على مُحمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

كان هذا ختام مجالسنا المتواضعة، وذلك بجوار السيّدة الجليلة فاطمة المعصومة عليها السلام.

كاظم البهادلي

فهرست المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ - الأمالي، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط١ / ١٣١٧هـ.

٢ - الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: السيد محمّد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان.

٣ - الأخلاق والآداب الإسلاميّة، هيئة محمّد الأمين، مطبعة سيد الشهداء - قم المقدسة، ط٢ / ١٤٢١هـ.

٤ - الأدب المفرد، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مؤسسة الكتاب الثقافية، ط٣ / ١٤٠٩هـ.

٥ - الأربعون حديثاً، السيد روح الله الموسوي الخميني ﵀ (ت١٤٠٩هـ)، ترجمة: السيد محمّد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم المقدسة.

٦ - الإرشاد، الشيخ محمّد بن النعمان المفيد العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث.

٧ - إعانة الطالبين، السيد الكبري الدمياطي (ت١٣١٠هـ)، دار الفكر - بيروت، ط١ / ١٤١٨هـ.

٨ - إعلام الورى، الشيخ الفاضل الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٤٥٨هـ)، طبع ونشر وتحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ، ط١ / ١٤١٧هـ.

٩ - إقبال الأعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١ / رجب ١٤١٤هـ.

١٠ - الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، تلخيص: علي الرباني الكلبايكاني، مؤسسة الإمام الصادق ﵇ - قم المقدسة، طبعة عام ١٤١٨هـ.

١١ - الأمالي، شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة - قم، نشر دار الثقافة، ط١ / ١٤١٤هـ.

١٢ - الإمامة والسياسة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، انتشارات الشريف الرضي - قم المقدسة، ط١ / ١٤١٣هـ.

١٣ - الأنوار القُدسيّة، الشيخ محمّد حسين الأصفهاني (ت١٣٦١هـ)، تحقيق: الشيخ علي النهاوندي، نشر مؤسسة المعارف الإسلاميّة.

١٤ - آيات منتخبة من القرآن الكريم، السيد مهدي الخطيب الهنداوي (ت١٤٢٧هـ)، مطبعة ستارة - قم المقدسة، الناشر المؤلّف ﵀.

١٥ - الباب الحاي عشر، العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، انتشارات المصطفوي - قم المقدسة.
١٦ - بحار الأنوار، العلاّمة محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مطبعة مؤسسة الوفاء - بيروت، ط٢ / ١٤٠٣هـ.
١٧ - بشارة المصطفى، عماد الدين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري (ت٥٢٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١ / ١٤٢٠هـ.
١٨ - تحرير الأحكام، العلاّمة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي (ت٧٢٦هـ)، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، طوس، مشهد المقدسة، الطبعة الحجرية.
١٩ - تحف العقول، ابن شعبة الحراني (ت القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين بقم المقدسة، ط٢ / ١٤٠٤هـ.
٢٠ - تاريخ الطبري، محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، انتشارات مؤسسة الأعلمي - بيروت، لبنان (بدون تاريخ).
٢١ - تذكرة الفقهاء، العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، نشر مكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الحجرية.
٢٢ - تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام - قم المقدسة، ط١ / ١٤٢١هـ.
٢٣ - تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١ / ١٤١٩هـ.
٢٤ - تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمّد المشهدي (ت١١٢٥هـ)، تحقيق: الحاج يحيى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ / ١٤٠٧هـ.
٢٥ - تفسير مجمع البيان، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١ / ١٤١٥هـ.
٢٦ - تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة بدون تاريخ.
٢٧ - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، الأمير الزاهد أبو الحسن ورّام بن أبي الفراس الأشتري (ت٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه - قم - إيران.
٢٨ - تهذيب الأحكام، الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الخراسان، نشر دار الكتب الإسلاميّة، مطبعة خورشيد، ط٤ / ١٣٦٥هـ.
٢٩ - ثمرات الأعواد، السيد علي الحسيني الهاشمي النجفي، انتشارات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ط١ / ١٤٢٠هـ.
٣٠ - ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مطبعة أمير - قم المقدسة، منشورات الشريف الرضي، ط٢ / ١٣٦٨ هـ ش.
٣١ - الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، ط١ / ١٤٠١هـ.

٣٢ - الحدائق الناضرة، الشيخ يوسف البحراني (ت١١٨٦هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد تقي الإيرواني، نشر جماعة المدرسين - قم المقدسة (بدون تاريخ).
٣٣ - خصائص الأئمّة، الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، تحقيق: د. محمّد هادي الأميني، نشر مجمع البحوث الإسلاميّة - الإستانة الرضوية المقدسة - مشهد المقدسة، طبعة عام ١٤٠٦هـ.
٣٤ - الخصال، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين - قم المقدسة (بدون تاريخ).
٣٥ - الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار المعرفة، ط١ / ١٣٦٥هـ.
٣٦ - روضة الواعظين، محمّد بن الفتّال النيسابوري (ت٥٠٨هـ)، تحقيق: السيد محمّد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي - قم.
٣٧ - رياض المدح والرثاء، الشيخ حسين علي سلمان البلادي البحراني، انتشارات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ط٤ / ١٤٢٦هـ.
٣٨ - سفينة البحار، الشيخ عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، مطبعة دار الأسوة - قم المقدسة، ط٢ / ١٤١٦هـ.
٣٩ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الفكر - بيروت (بدون تاريخ).
٤٠ - سياسة الحسين، الشيخ عبد العظيم الربيعي، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١ / ١٤٢٠هـ.
٤١ - شجرة طوبى، المحدّث الجليل الشيخ محمّد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية، ط٥ / ١٣٨٥هـ.
٤٢ - شرح التجريد (كشف المراد)، العلاّمة الحلّي، تحقيق: حسن زاده آملي، نشر جماعة المدرسين - قم المقدسة، ط٨ / ١٤١٩هـ.
٤٣ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة منشورات المرعشي النجفي، نشر دار إحياء الكتب العربية (بدون تاريخ).
٤٤ - شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني عبد الله بن أحمد (ت القرن الخامس)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، انتشارات إحياء الثقافية الإسلاميّة، ط١ / ١٤١١هـ.
٤٥ - الصحيفة السجّادية، الإمام زين العابدين عليه السلام (ت٩٤هـ)، المطبعة والنشر جماعة المدرسين - قم المقدسة.
٤٦ - صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر - بيروت، أوفسيت عن طبعة دار الطباعة العاشرة، إسطنبول، طبعة عام ١٤٠١هـ.
٤٧ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الفكر - بيروت (بدون تاريخ).
٤٨ - الطريق إلى منبر الحسين، الخطيب المرحوم الشيخ عبد الوهاب الكاشي، انتشارات الشريف الرضي - قم المقدسة، ط١ / ١٤٢١هـ.

٤٩ - العقيلة زينب والفواطم، الحاج حسين الشاكري، نشر المؤسسة الإسلاميّة للتبليغ والإرشاد، ط١ / ١٤٢٢هـ.
٥٠ - علل الترمذي، محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، دار الفكر - بيروت، ط٢ / ١٤٠٣هـ.
٥١ - علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، طبعة عام ١٣٨٦هـ.
٥٢ - عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: السيد المرعشي والشيخ مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء - قم المقدسة، ط١ / ١٤١٣هـ.
٥٣ - عين الحياة، العلاّمة محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، طبعة جماعة المدرسين - قم المقدسة (بدون تاريخ).
٥٤ - عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١ / ١٤٠٤هـ.
٥٥ - عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمّد الليثي الواسطي (ت القرن السادس)، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، نشر دار الحديث، ط١ / ١٣٧٦ هـ ش.
٥٦ - في رحاب التوبة، السيد محمّد مجاهد، تحقيق: ناصر الباقري البيد هندي، انتشارات زائر، ط١ / ١٣٧٧ هـ ش.
٥٧ - فيض القدير، محمّد عبد الرؤوف المناوي (ت١٣٣١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ / ١٤١٥هـ.
٥٨ - قرب الإسناد، السيد الحميري أبو العباس عبد الله البغدادي (ت٣٠٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم المقدسة، ط١ / ١٤١٣هـ.
٥٩ - قصص الأنبياء، السيد نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ) (بدون تاريخ).
٦٠ - الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، ط٣ / ١٣٨٨هـ.
٦١ - كامل الزيارات، الشيخ الجليل جعفر بن محمّد بن قولويه القمي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي الأصفهاني، نشر جماعة المدرسين - قم المقدسة، ط١ / ١٤١٧هـ.
٦٢ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ / ١٤٠٧هـ.
٦٣ - كتاب سليم بن قيس، أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (ت القرن الأول)، تحقيق: الشيخ محمّد الباقر الأنصاري الزنجاني (بدون تاريخ).
٦٤ - كشف الغمة، الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء - بيروت، ط٢ / ١٤٠٥هـ.
٦٥ - كنز العمال، المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكر حياني والشيخ صفوة السقا، مطبعة مؤسسة الرسالة - بيروت (بدون تاريخ).

٦٦ - كنز الفوائد، المحدّث الخبير العلاّمة أبو الفتح محمّد بن علي الكراجكي (ت٤٤٩هـ)، منشورات مكتبة المصطفوي - قم المقدسة، ط٢ / ١٤١٠هـ.
٦٧ - كيمياء المحبّة، الشيخ محمّد الريشهري، تعريب: خليل العصامي، نشر: دار الحديث - قم المقدسة، ط١ / ١٤٢٢هـ.
٦٨ - اللهوف على قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، المترجم: عبد الرحيم عفيفي بخشايشي، انتشارات دفتر نشر مؤيد إسلام - قم المقدسة، ط٥ / ١٣٧٨ هـ ش.
٦٩ - مثير الأحزان، ابن نما الحلّي (ت٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، طبعة عام ١٣٥٩هـ.
٧٠ - مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، ط٢ / ١٤٠٨هـ.
٧١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، المطبعة دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٠٨هـ.
٧٢ - مجمع المصائب، الشيخ محمّد الهنداوي، منشورات الشريف الرضي (بدون تاريخ).
٧٣ - المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ت١٣٧٧هـ)، تحقيق: حسين الراضي، منشورات الجمعية الإسلاميّة، ط٢ / ١٤٠٢هـ.
٧٤ - المزار، محمّد المشهدي (ت٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، انتشارات القيوم، ط١ / ١٤١٩هـ.
٧٥ - مسار الشيعة، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، انتشارات المرعشي النجفي، مطبعة الصدر، طبعة عام ١٤٠٦هـ.
٧٦ - المستدرك على الصحيحين، محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: د. يوسف المرعشلي، انتشارات دار المعرفة - بيروت، طبعة عام ١٤٠٦هـ.
٧٧ - مستدرك وسائل الشيعة، الشيخ النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٢ / ١٤٠٨هـ.
٧٨ - مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت (بدون تاريخ).
٧٩ - المعجم الصغير، الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).
٨٠ - مسند زيد بن علي، زيد بن علي (ت١٢٢هـ)، تحقيق: أحد العلماء الزيدية، نشر: دار الحياة - بيروت (بدون تاريخ).
٨١ - مشكاة الأنوار، أبو الفضل علي الطبرسي (ت القرن السابع)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ط٢ / ١٣٨٥هـ.
٨٢ - مصباح المتهجد، الطوسي محمّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، مطبعة فقه الشيعة - بيروت، ط١ / ١٤١١هـ.

٨٣ - معالي السبطين، الشيخ محمّد مهدي الحائري، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الثانية.
٨٤ - معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات إسلامي، طبعة ١٣٦١ هـ ش.
٨٥ - مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط٢ المصححة ١٤١٨هـ.
٨٦ - مقاتل الطالبيّين، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة الثانية.
٨٧ - مقتل الحسين (أبو مخنف)، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الغامدي (ت١٥٧هـ)، تحقيق: الميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية - قم، انتشارات المرعشي النجفي، طبعة عام ١٣٩٨هـ.
٨٨ - مقتل الحسين (المقرّم)، السيد عبد الرزاق المقرّم، المبطعة الحيدرية - النجف الأشرف، انتشارات الشريف الرضي، ط١ / ١٤١٤هـ.
٨٩ - مكارم الأخلاق، الطبرسي الحسن بن الفضل بن حسن من أعلام القرن السادس الهجري (ت٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم المقدسة، ط٦، ١٣٩٢هـ.
٩٠ - مُسكن الفؤاد، الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي (ت٩٦٦هـ)، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسة، ط١ / ١٤٠٧هـ.
٩١ - مناقب ابن شهر آشوب، ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف - المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، طبعة عام ١٣٧٦هـ.
٩٢ - منتهى الآمال، الشيخ عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، المترجم: السيد هاشم الميلاني، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم المقدسة (بدون تاريخ).
٩٣ - منتهى المطلب، العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، الناشر: الحاج أحمد - تبريز، الطبعة الحجرية سنة ١٣٣٣هـ.
٩٤ - مواقف الشيعة، الشيخ علي الأحمدي الميانجي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، ط١ / رجب ١٤١٦.
٩٥ - ميزان الحكمة، الشيخ محمّد الري شهري، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى.
٩٦ - الميزان في تفسير القرآن، العلاّمة محمّد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
٩٧ - نظرة إلى حياة السيدة معصومة عليها السلام ، انتشارات السيدة المعصومة عليها السلام - قم المقدسة (بدون تاريخ).
٩٨ - نهج البلاغة، خطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة.
٩٩ - وسائل الشيعة، الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، مطبعة مهر - قم، ط٢ / جمادى ٢ - ١٤١٤هـ.
١٠٠ - وفيات الأئمّة، مراجع من العلماء الأعلام، دار البلاغة - بيروت، ط١ / ١٤١٢هـ.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين

الفهرس

الإهداء ٧
كلمة الناشر ٩
المقدّمة ١٥
المجلس الأوّل: وجوب تنصيب الإمام عليه السلام ١٧
المجلس الأوّل: وجوب تنصيب الإمام عليه السلام ١٩
الإمامة عند الشيعة ٢٣
الأدلّة على هذا الأصل ٢٣
الدليل الأوّل: الآيات والروايات ٢٣
الدليل الثاني: الأمّة الإسلاميّة ومثلّث الخطر الداهم ٢٥
الدليل الثالث: نصب الإمام لُطفٌ إلهي ٢٦
المجلس الثاني: معجزات الحسين عليه السلام ٣٣
المجلس الثالث: الحسد ٤٧
المجلس الرابع: الرضا بقضاء الله ٦١
المجلس الخامس: العبادة ٧٣
المجلس السادس: التوبة ٨٩
المجلس السابع: القناعة ١٠٣
فضل القناعة ١٠٧
من نتائج القناعة ١٠٩
من قصص القناعة ١١٠
المجلس الثامن: صلة الرحم ١١٥
مَنْ هم الأرحام؟ ١٢٠
آثار قطيعة الرحم ١٢١
آثار صلة الرحم ١٢٣
أقلّ ما يتحقق به صلة الرحم ١٢٤
أفضل صلة الرحم ١٢٥

المجلس التاسع: الإيثار ١٢٩
المجلس العاشر: الرحمة ١٤٣
رحمة الله عزّ وجلَّ على مخلوقاته ١٤٧
ما هي الأُمور التي تسبّب الرحمة؟..... ١٤٨
ما هي الأُمور التي تمنع الرحمة؟ ١٤٩
رحمة الأيتام ١٤٩
رحمة الضعيف..... ١٥١
الشفقة على الوالدين..... ١٥٣
المجلس الحادي عشر: برّ الوالدين وعقوقهما ١٥٧
المجلس الثاني عشر: الصبر ١٧٣
١ - الصبر على الطاعة..... ١٧٧
٢ - الصبر على عدم معصية الله..... ١٧٨
٣ - الصبر على البلاء والمصائب ١٧٩
المجلس الثالث عشر: حسن الظنّ وسُوء الظنّ..... ١٨٧
المجلس الرابع عشر: التقوى..... ٢٠١
فهرست المصادر والمراجع..... ٢١٧